16 ème Année No. 798

Lundi — 18 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٩٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٦٧ — ١٨ اكتوبر سنة ١٩٤٨ « السنة السادسة عشرة

تشـــــبه . . . وشفاعة !

للأســـتاذ نقولا الحداد

دهش العالم العربى فى الشهر الماضى من حكم محكمة الجنايات العراقية على الملیونى اليهودى شفيق عدس بالموت ثم بغرامة خمسة ملايين دينار (جنيه) . وكانت الجريمة أن هـذا العراق الذى اكتسب هـذه الملايين من العراقيين بالأحابيل المالية المعروفة عند اليهود كان يشترى من مخلفات الجيش الآلات والأدوات الحربية من دبابات ومركبات مصفحة ومدافع وطائرات الخ ، ثم يفككها ويشحنها إلى إيطاليا بوصفها حدايد « خردة » ومن هناك ترسل إلى تل أبيب ، ثم يعيد الصهيونيون تركيبها كما كانت!

بهذه الحيلة الخبيثة اكتسب الصهيونيون فى فلسطين قدراً كبيراً من السلاح الذى كانوا يحاربون به العرب ، ومنهم العراقيون ، فكأن المال العراق كان يسفك الدم العراق !

وكيف تكون الخيانة العظمى غير هذا ؟

وقصاص الخيانة العظمى الموت !

ومنذ عهـد موسى إلى اليوم كان اليهود يعتبرون كل عمل لايقبله شعب الله المختار خيانة عظمى يستحق فاعله الموت بوضعه فى الغائط المغلى . كذا ورد فى التلمود الأصلى . أما حكومة العراق فاكتفت بالشنق !

ذلك ما فعلته حكومة العراق فى أحد الخونة من رعاياها . . .

فماذا فعلت سائر الحكومات العربية الأخرى ؟ أليس عندها خونة من اليهود الذين جمعوا الثروات الطائلة فى جميع البلاد العربية ؟ لو تيسر لنا إحصاء ثروات البلاد العربية لوجدنا ثلاثة أرباعها لليهود ، واليهود أقلية فى البلاد قد يناهزون الواحد فى الألف ، ثم إذا تحققنا من مصير هذه الثروات وجدنا جانباً منها قد تسرب إلى تل أبيب لكى ينفق فى محاربة أولاد ناوناسنا ، أليست هذه خيانة عظمى ؟ دعك من الحكم بالإعدام فى مغلى الغائط

لا نطلب حكماً بالإعدام على من يستحقون الإعدام فذلك شأن القانون ، إنما نطلب تجريد اليهود من القدار الأكبر من هذه الثروات التى استنزفت من البلاد ، نطلبها لكى نمول بها إخواننا الفلسطينيين الذى شردتهم الأسلحة المقتناة بأموال اليهود المختلسة من البلاد !

إن أكثر من نصف مليون عربى فلسطينى طردهم اليهود طرداً من بلادهم وشردوهم شرقاً وجنوباً وشمالا ، ونهبوا أموالهم وغلالهم وحوانيتهم واحتلوا بيوتهم ونسفوا بعضها — فكم يساوى هذا الذى اغتصبه اليهود ؟ ألا يساوى على الأقل ٥٠ مليون جنيه ؟

أفيعد ظلماً أن تسترد هذه الملايين من أغنياء اليهود القيمين فى البلاد العربية وهم يستنزفون أموالها ، قبل أن يقدموها هدايا سخية لدولة إزرائيل الملفقة ؟ أليس حقاً أن يمون بها هؤلاء المشردون ريثما تتيسر لهم العودة إلى بلادهم آمنين !

من مهازل بعض اللبنانيين أنهم يقترحون على المطران مبارك

معاهد العلم فى عصر الحروب الصليبية :

الجامع الأزهر
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

الجامع الأزهر أول مساجد القاهرة ، أنشأه جوهر الصقلى بأمر المعز لدين الله أول خلفاء الفاطميين فى مصر وتم بناؤه سنة ٣٦١هـ ، ومنذ ذلك الحين ظفر الأزهر بعناية الفاطميين جيلا بعد جيل .

وكانت الغاية الأولى من تشييده إقامة الصلاة فيه ، ولكن لم يمض على إنشائه وقت قصير حتى سأل الوزير يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء ، فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق ؛ وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى العصر ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا ، وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة فى كل سنة ، كما كانوا موضع عطف الخليفة يخلع عليهم فى عيد الفطر

صار الأزهر منذ ذلك التاريخ من أهم مواطن الثقافة فى مصر ، ولكن التعليم قد اصطبغ فيه ولا ريب — بالصبغة المذهبية ؛ فكان الفقه يدرس فيه على مذهب الشيعة ، وتقرأ فيه كتب هذا المذهب ، من مثل كتاب الاقتصار الذى وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى قاضى المعز لدين الله فى فقه آل البيت ، وكتاب دعائم الإسلام ، وكتاب الأخبار فى فضل الأئمة الأبرار له أيضاً ، كما كانت تقرأ فيه الرسالة الوزيرية ، وهى كتاب الوزير ابن كلس فى الفقه الشيعى على مذهب الإسماعيلية ، وأقنى الناس بما فيه .

كانت الصبغة المذهبية هى الغالبة على الأزهر ، أما العلوم الفلسفية فقد نهضت بها دار الحكمة ، وإن كان يبدو أن هذه العلوم أيضاً كانت تدرس بالأزهر فى حدود ضيقة ؛ فقد كان الدعاة وهم أساتذة دار الحكمة يجلسون للتدريس فى الجامع الأزهر أحياناً كثيرة ، وكان داعى الدعاة يدرس فيه درساً خاصاً للنساء .

الذى نفى بسبب مهازله السياسية ، ثم غفر له قداسة البابا فعاد إلى ميدانه ، يقترحون عليه أن يشفع عند اليهود للعرب اللاجئين لكى يسمحوا لهم أن يعودوا إلى بلادهم . ذلك لأن مساعى الطران جورج الحكيم ، مطران فلسطين ، لإعانة اللاجئين لا تعجبهم ؛ فسألنا أحد هؤلاء المقترحين : ولما ذا تطلبون شفاعة الطران مبارك ؟ فأجاب لأن اللبنانيين أصدقاء اليهود فهم يقبلون شفاعتهم ويراعون خاطرهم !

ما شاء الله ! أإلى هنا وصلنا ؟ تطلب وساطة مطران اليهود لدى اليهود لينعموا على العرب بيبوتهم !

من قال للطران مبارك والمقترحين الشفاعة عليه أن العرب يقبلون هذه الصدقة منهم ؟!

سيعود العرب — بقوة الله — إلى بلادهم مرفوعى الرأس مرهوبى الجانب عند ما تتكسر شوكة الطغاة الأراذل !

كنا نظن أن أصدقاء اليهود فى لبنان يقترحون على الطران مبارك أن يجمع الإعانات للاجئين إذا كان له نفوذ بين شعبه . وإذا كانت له هذه المكانة عند اليهود ، فلينقذ القرى اللبنانية التى غزاها اليهود وطردوا أهلها منها . أليست هذه القرى فى دائرة إرشيته ؟ !

وهل يستطيع الطران مبارك أن يدفع الذئاب من اليهود عن العرب لو أتيح له أن يعيدهم إلى بلادهم . لما ذا « طفشوا » ؟ أليس لأن أطفالهم ونساءهم العزل لا يستطيعون أن يقاوموا ذئاباً . فما ذا أعد لحمايتهم من هؤلاء الذئاب ؟ !

إن من البلايا التى نزلت بفلسطين أن بعض أثرياء اللبنانيين كانوا سببها ، لأنهم باعوا لليهود أملاكهم التى فى فلسطين ، فوجد الصهيونيون رحاباً فسيحة يزرعون فيها مستعمراتهم ، ويمدون منها أيديهم وأرجلهم إلى ما حولهم ، حتى يطغوا فى المستقبل على لبنان ، وبومئذ يصبح الطران مبارك صاخباً لا مطراناً — فليهنأ هو وقومه حينذاك !

فإذا ذكرت نكبة فلسطين ، وذكرت إغاثة أهلها ، فليخرس الجانب الصهيونى من اللبنانيين !

حسبهم خزياً أنهم لم يفعلوا شيئاً فى حرب اليهود ، ولم يحموا بعض القرى اللبنانية منهم !

نفور الحمار

ولست أدرى إن كان غير مذهب الشيعة الإسماعيلية فى الفقه وغيره قد وجد سبيله إلى الأزهر فى الأوقات التى كانت تضعف فيها حدة الدعوة الإسماعيلية كما حدث فى عهد الأفضل الإمامى القسامح وزير الآمر ، والعادل بن السلاد السنى وزير الظافر .

غير أنه مما لا شك فيه أن مذهب الشيعة قد اختفى تدريسه من الأزهر يوم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ، وأبطل الخطبة من الجامع الأزهر ، ذلك أنه قلد وظيفة القضاء صدر الدين بن درباس ، وهو شافعى ، فعمل بمقتضى مذهبه ، وهو امتناع إقامة خطبتين فى بلد واحد ؛ فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر وأقرها بالجامع الحاكمى لكونه أوسع . والظاهر أن ذلك لم يكن إلا تبريراً لما أراده صلاح الدين من إهمال أمر الأزهر وصرف عناية الناس عنه ، لأنه أقدم موطن لنشر دعوة الشيعة فى البلاد ، ولولا ذلك لأمكنه أن يجمع فيه مرة وفى الجامع الحاكمى أخرى ، ولكن إهمال الأزهر كان خطة رسمها صلاح الدين وخلفاؤه من بعده ، فأنشئوا المدارس المختلفة التى نافسته ، وأقبل عليها المدرسون أكثر من إقبالهم على الأزهر ، لكثرة ما تدره هذه المدارس على مدرسيها وطلبتها ، ولما كانت تظفر به من رعاية أولى الأمر ؛ ولكن التدريس لم ينقطع من الجامع الأزهر برغم انقطاع خطبة الجمعة فيه ، وإهمال السلاطين أمره ، وها هو ذا عبد اللطيف البغدادى يأتى إليه فى عصر العادل ويتردد عليه عشر سنين ، مستمعاً إلى الأساتذة الحاضرين حيناً ، وقائماً بتدريس الطب والفلسفة والمنطق طرفى النهار حيناً آخر .

وظل الجامع مهملاً من سلاطين الدولة ، والجمعة فيه معطلة زهاء مائة عام إلى أن سكن بجواره الأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى عهد بيبرس ، فانتزع كثيراً من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة ، وتبرع له ، وأصلحه وأقام فيه منبراً ، وأذن القاضى الحنفى بإعادة الخطبة فيه ، فأعيدت يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر سنة ٦٦٥ هـ ، وعمل الأمير فيه مقصورة رتب فيها مدرساً وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعى ، ورتب محدثاً يسمع الحديث النبوى والرقائق ، ورتب سبعة لقراءة القرآن ، ووقف على ذلك أوقافاً دارَّة تكفيه ، ولم يلبث الأزهر أن ظفر بمكانة سامية يدل عليها أن الذى تولى أمر خطابته فى عهد المنصور قلاوون وابنه هو عبد الرحمن ابن بنت الأعز ، قاضى قضاة الشافعية ، ومن بعده كذلك محمد بن ابراهيم بن جماعة . وذاع صيت الأزهر منذ ذلك الحين ، وأصبح معهداً علمياً يؤمه الناس من كل فج ، وافى الأزهر من العناية الشىء الكثير ، وزاد فى مجده أن غزوات المغول فى الشرق قضت على معاهد العلم فيه ، وأن الإسلام أصابه فى المغرب من التفكك والانحلال ما أدى إلى دمار مدارسه الزاهية .

وحفظ التاريخ من أسماء مدرسيه فى عصر الحروب الصليبية محمد بن بركات بن هلال الصوفى ، أحد فضلاء المصريين وأعيانهم أخذ النحو والأدب عن أبى الحسن بن بابشاذ فأتقنهما ، وله أيضاً معرفة حسنة بالأخبار والأشعار ، ولكنه كان منحطاً فى الشعر ، يقول السيوطى عنه : ليس له أحسن من هذين البيتين :

يا عتق الإربق من فضة ويا قوام الغصن الرطب
هبك تجافيت وأقصيتنى تقدر أن تخرج من قلبى ؟!

والظاهر أنه كان مضيقاً عليه فى الرزق ، يدلنا على ذلك ما روى من أنه وقف للأفضل شاهنشاه أمير الجيوش ، وهو راكب فى الطريق فأنشده :

يا رحمة الله التى واسعها لم يضق
لم يبق إلا رمق فاعتبق منى رمق
وعن قليل لا أرى كأننى لم أخلق

فسأل الأفضل عنه ، فقيل له هذا بحر العلم ابن بركات النحوى ، فقال له الأفضل أنت شيخ معروف ، وفضلك موصوف ، وقد حملنا عنك الوقوف وأمر له بشىء . ويبدو أنه اتصل بالأفضل بعدئذ ، وألف له كتاب الإيجاز فى معرفة ما فى القرآن من منسوخ وناسخ ، ولعل هذا الكتاب وما ألفه فى النحو من تصانيف من بين ما قرأه فى الأزهر على طلبته . كما أنه وضع كتاباً فى خطط مصر أجاد فيه ، وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٥٢٠ وله مائة سنة وثلاثة أشهر .

ومنهم الحسن بن الخطير أبو على النعمان الفارسى المعروف بالظهير ؛ وقد اشتغل زمناً طويلا بالتدريس فى الأزهر ، روى عنه ياقوت أنه قال : أنا من ولد النعمان بن المنذر ، ومولدى بقرية تعرف بالنعمانية ، ومنها ارتحلت إلى شيراز ، فتفقهت بها ، فقيل

لى الفارسى، وانتحل مذهب النعمان وانتصر له فيما وافق اجتهادى .
قال ياقوت : وكان عالماً بفنون من العلم ، قارئاً بالعشر والشواذ ، عالماً بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه والفقه والخلاف والكلام والمنطق والحساب والهيئة والطب ، مبرزاً فى اللغة والنحو والعروض والقوافى ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم . ومما ساعده على معرفة ذلك كله أنه كان يحفظ فى كل فن من هذه الفنون كتاباً ، فكان يحفظ فى التفسير كتاب لباب التفسير لتاج القراء ، وفى فقه الشافعى كتاب الوجيز للغزالى ، وفى فقه أبى حنيفة كتاب الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيبانى ، نظم النسفى ، وفى الكلام كتاب نهاية الإقدام للشهرستانى ، وفى اللغة كتاب الجمهرة لابن دريد ، وكان يسردها — كما قيل — كما يسرد القارئ الفاتحة ، وكان يحفظ فى النحو كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى ، وفى العروض كتاب الصاحب بن عباد ، وكان يحفظ فى المنطق أرجوزة أبى على بن سينا ، وكان قيما بمعرفة قانون الطب له ، وكان عارفاً باللغة العبرية ويناظر أهلها بها ، وقد ظل يحفظ متون هذه العلوم مدة أربع عشرة سنة كان يكتبها ألواحاً ، ويحفظها كما يحفظ القرآن .

وكان الغالب عليه الأدب واللغة يجلس بين يديه شيخ الديار المصرية عثمان بن عيسى النحوى ، ويسأله سؤال المستفيد عن حروف من حوشى اللغة . وفى مرة سأله عن كلمة منحوتة ، ففسرها له ، وأملاه كلمات على مثالها فى نحو عشرين ورقة من حفظه ، وسمى ما أملاه كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب . وكان ابن سناء الملك يسأله عن كلمات من غريب كلام العرب وهو يجيب عنها بشواهدها . وقد كانت معرفته باللغة سبباً فى انتصاره على المجير البغدادى عند ما دخل خوزستان؛ فقد بدأ مناظرته إياه بألفاظ حوشية أحب المجير أن يستفسر عنها؛ وهنا انتهز النعمان هذه الفرصة فشنع عليه وقال : انظر إلى المدعى رتبة الإمامة يجهل لغة العرب ... والمناظرة إنما اشتقت من النظير ، وليس هذا بنظيرى ، لجهله بأحد العلوم التى يلزم المجتهد القيام بها . وكثر لغط أهل المجلس وانفض ، « وشاع فى الناس أنى قطعته » .

وكان الظاهر قد أقام بالقدس مدة ، فأغراه العزيز عثمان ابن صلاح الدين بالصعود معه إلى القاهرة ، وأجرى عليه كل شهر ستين ديناراً أو مائة رطل خبزاً ، وخروفاً وشمة كل يوم ومال إليه الناس والعلماء ، وصار له سوق قائمة ، إلى أن قرر العزيز المناظرة بينه وبين شهاب الدين الطوسى ، ولكن الطوسى فى يوم عيد انتهز كلمة مجاملة قالها الظاهر للعزيز فى أثناء الكلام ، ولم يدر الطوسى النطق بها فأصماه ، وانكسرت حرمته عند العزيز ، وشاعت القصة بين العوام ، وانتهى أمره بأن انضوى إلى المدرسة التى أنشأها تركون الأسدى يدرس بها مذهب أبى حنيفة إلى أن مات سنة ٥٩٨ .

وكان قد أملى كتاباً فى تفسير القرآن وصل فيه إلى تفسير قوله تعالى : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . فى نحو مائتى ورقة ، ومات ولم يختم تفسير سورة البقرة . وله كتاب فى شرح الصحيحين ، اختصره من كتاب الإفصاح فى تفسير الصحاح للوزير ابن هبيرة ، وزاد عليها أشياء وقع اختياره عليها ، وكتاب فى اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ولم يتمه ، وله خطب وفصول وعظية مشحونة بغريب اللغة وحواشيها.

ومن أساتذة الأزهر يؤمئذ نصر بن محمود المظفر الأديب النحوى اللغوى ، قرأ الأدب على ابن الخشاب والكمال الأنبارى ، وسمع بمصر من البوصيرى ، وامله قرأ بالأزهر رسالته فى الضاد والظاء ، ومات سنة ٦٣٠ .

وممن تصدر للاقراء فيه شيخ الإقراء بالديار المصرية على ابن يوسف الشطنوفى المولود بالقاهرة سنة ٦٤٧ ، وقد تكاثر عليه الطلبة وكان الناس يكرمونه ، وينسبونه إلى الصلاح ويحمدون سيرته ، وانتفع به جماعة فى القراءة ، كما كان ممدوداً من النحاة ، وله اليد الطولى فى علم التفسير ، أملى فيه تعليقاً على طلبته ، وكان أستاذه الروحى عبد القادر الجيلى ، جمع أخباره ومناقبه فى ثلاثة مجلدات ، وسمى كتابه البهجة ، ولشدة إعجابه به دون كل ما سمعه عنه ولو كان الراوى غير أهل للثقة ، فدخل فى الكتاب حكايات كثيرة مكذوبة . وقد ولى الشطنوفى أيضاً تدريس التفسير بالجامع الطولونى والإقراء بجامع الحاكم ، ومات بالقاهرة سنة ٧١٣ .

ومن أعلام الصوفية الذين جلسوا بالجامع الأزهر ، وتحدثوا بمبادئهم فيه يومئذ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى المتوفى سنة ٧٠٩ ، كما كان يقيم عمر بن الفارض الشاعر الصوفى المشهور

(حلوان الحمامات) أحمد أحمد بروى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

٣ — الاتجاهات الحديثة فى الاسلام :

القـــانون والمجتمع (*)

للأستاذ ه . ا . ر . جب

... كان هناك من الجهة الأخرى حق واحد — كان التشريع الاجتماعى فى الإسلام حازما فيه ومشدداً ، هو حق العلاقات الشخصية التى تشتمل على الزواج والطلاق والإرث . وليس السبب فى هذا الحزم أن هذه العلاقات عامة يمتد تأثيرها إلى كل فرد فى المجتمع فقط ، بل أيضاً لأن تنظيماتها الأساسية واضحة فى القرآن . وليس هناك — كما رأينا — مسلمون — إلا قليلا — يرغبون فى الجدل فى أن القرآن هو الكلام الحقيقى لله . ولئن كانت الثغرة التى بين الاعتقاد فى ضرورة التغير ، وبين التغيير الحقيقى فى القانون ، لا يمكن وصلها بسهولة وسرعة فى أى نظام ، فإنها ستتأثر قطعاً بالثورة ؛ كما قد حدث فى تركيا . ولذلك نجد فى كل دولة إسلامية — ما خلا تركيا — أن القانون الفردى للمسلمين لا تنفذه المحاكم الأهلية ، وإنما تنفذه المحاكم الدينية أو الشرعية . بل كان لكل طائفة من الطوائف الدينية المختلفة محاكم تنفذ قوانينهم ، طبقاً لنظمهم المرعية فى تقاليدهم الدينية[1] .

وفى الحق أن ميدان العلاقات الشخصية هذا ، هو الوحيد الذى طالب المجددون فيه بالإصلاح ، وقد بلغ الخلاف أشده بين الأحرار والمحافظين . فليس من شك فى أن الوعى الاجتماعى عند الطبقات المثقفة قد أيقظته المساوىء التى صحبت انتشار الطلاق وتعدد الزوجات . فهم قد تنبهوا إلى نتائج قانون الميراث فى القرآن وقانون الأوقاف والصدقات ...

ويصف القرآن فى تفصيل دقيق ، الأنصبة والنسب التى توزع بمقتضاها التركة بين الورثة والمستحقين فأعطى لكل وارث من النساء — بوجه عام — نصف ما يخص زملاءهن من الورثة المذكور . وليس من الصعب أن نلمس مدى عدالة هذه القاعدة ، عندما تطبق على الملكية المنقولة (التى كانت الشكل البدائى للملكية فى بلاد العرب) بيد أنه حينما تطبق على الملكية الزراعية ، أو رأس المال فى الصناعة ، تكون النتائج وخيمة من الناحية الاقتصادية . فأوقاف الأسر الموروثة وهبائها كانت سبباً فى التدهور الأخلاق والخسارة الاقتصادية . ولزمن مضى كانت هناك حركة جامحة فى مصر وبعض الأقطار الأخرى لوضع حد لها .

ومن السهل أن نفهم المصلح المسلم المخلص ونواسيه فى المأزق الذى قد يجد نفسه واقعاً فيه ؛ فليس هو مساويا لمجرد سلطان التراث الاجتماعى الذى مضى عليه أكثر من ألف عام من الحكم المطلق ، بل هو مساو كذلك للمعارضة الطبيعية للرجل العادى ، فى التنازل عما يتمتع به من امتيازات . ثم إن عليه — بعد ذلك — أن يواجه الحقيقة ، وهى أن هذه التقاليد والعادات الاجتماعية فى حاجة إلى أن تنفذها نصوص واضحة مباشرة من القرآن . وهذه الصعوبة ليس لها نفس الأهمية عند غير المتدين ، على الرغم من أن المدنيين من غير رجال الدين يلقون نصباً فى منعهم الجدل الدينى ، لدرجة أن الإنسان لا يستطيع أن يتأكد دائماً من أن كتاباً أو مقالة عن « المسألة النسائية » فى الإسلام ، هى من وضع عالم دنيوى أو مصلح حديث !

وليس من شك فى أن الأمثلة على الجدل الدنيوى يمكن أن نجدها فى الأدب التركى الحديث ، وفى الأدب الهندى أيضاً ؛ ولكن الشك فى مدى ما تظهره هذه الأمثلة من رأى إسلامى عام — إلا فى تركيا . وإنه لعلى جانب كبير من الأهمية هنا أن ننظر فى بعض السبل التى اتبعها المصلحون المسلمون لمواجهة المشكلات .

فى قصيدة من أشهر القصائد التى نقلها إقبال نادى الشاعر الاجتماعى التركى ، زياجوك ألب (المتوفى سنة ١٩٢٤) بوجوب الاعتراف بالمساواة الشرعية للنساء :

هنالك المرأة ؛ أمى ، وأختى ، وابنتى .

إنها هى التى تناجى المواطف المقدسة من أعماق نفسى .

(*) عطفا على ما نشر بالعدد ٧٩٣ من الرسالة الغراء .
(المترجم)

(١) حذفت مناقشات الاقتراحات الخاصة بإصلاح المحاكم الشرعية .

هنالك محبوبتي ؛ شمسي وقمري ونجمي .

إنها هي التي تعلمني كيف أفهم شعر الحياة !

كيف استطاع القانون السماوي أن يحط من قدر هذه المخلوقات الجميلة ؟

لعمري إن المتعلمين قد أخطأوا في تفسير القرآن :

أساس الأمة والدولة هو الأسرة .

وما دامت المرأة من غير اعتبار تبقى حياة الأمة ناقصة غير كاملة .

إن الأسرة يجب أن ترعاها العدالة .

لذلك كانت المساواة ضرورية في ثلاثة : في الطلاق والانفصال وفي الوراثة !

وما دامت المرأة ممدودة نصف الرجل في الميراث ،

وربع الرجل في الزواج ، فما أبعد الأسرة والأمة عن الرقي والعلا ... !

* * *

على أن زياجوك أديب لم يقنع باحتجاجاته الشعرية ، فقد أخذ على عاتقه — كاجتماعي — أن يستنبط مبادىء تفسير القانون ، من جديد . ولهذا الغرض نجده قد ميز بين العوامل « الآلهية » والعوامل « الاجتماعية » في الشريعة . فالعوامل « الاجتماعية » في رأيه ، لم تكن مؤسسة على نصوص واضحة ، بل كان أساسها « العرف » . وهذه الكلمة — التي تعني القانون التقليدي في عرف العلماء — عرفها هو بأنها « القرارات القيمة للناس أو الجماعة . وعلى ذلك فقد كان القانون الشخصي عرضة للتعديل ، بأية وسيلة يطالب بها « الرأي العمي » أو « الشعور الوطني » . وعلى كل حال فمن الواضح أن هذه المحاولة لبسط الاختلافات ذاتية خالصة ، وأن وضع القانون التقليدي على قدم المساواة مع القانون السائر — ولو اعتبر خلاصة للتجارب التاريخية — يتعارض مع أسس الفكر الإسلامي[1] .

(١) ذهب العلماء إلى حد القول بأن هذا العرف يهتم به إذا لم يكن مخالفا لنص أو إشارة من القرآن أو السنة النبوية . وتوجد مناقشة شبيهة بمناقشة زياجوك هذه — على نطاق واسع — قدمها : جلال نوري بك ، في « اتحاد الإسلام » (استنبول ١٩١٣) والترجمة العربية : القاهرة ١٩٢٠ ، ص ٤٢ وما بعدها .

• تجد الرأي الأزهري في نور الإسلام : ج١ ص ٥٣٤ — ٤٠ .

ولست أعرف في أية كتابات للمجددين العرب الذين نقلت عنهم ، أسلوبا مشابها لهذا في المناقشة .

ولقد ألح ممثلو الحركة النسائية العربية القديمة ، في القضاء على نواحي الضعف الاجتماعية — أكثر من القانونية . وكان الشاعر العراقي : جميل صدقي الزهاوي ، أحد الأبطال الأوائل الذين نقدوا عزلة النساء الاجتماعية ، وصرحوا مراراً وتكراراً بميول أعظم نبلاً نحوهن قال ما ترجمته :

إن المرأة والرجل سواسية في الجدارة .

فعلموا المرأة ، لأن المرأة عنوان الحضارة ! .

وأعظم القصائد انتشاراً قصيدته : « السفور » :

إخلعي الحجاب يا ابنة العرب ! لأن الحجاب داء يفتك بالمجتمع .

كل شيء يسمو إلى التجديد ، فلماذا تظل هذه الأعجوبة جامدة !

لم ينادِ نبي بالحجاب بشكله هذا ، لا ، ولا فاهت به أية حكمة !

إنه جدير باللوم في نظر القانون السماوي والطبيعة ، والذوق والعقل والضمير !

لقد ادعوا أن في الحجاب وقاية ، بل كذبوا لأنه في الحق يجلب العار !

لقد ادعوا أن التبرج مخل بالآداب ، بل كذبوا لأنه أفضل طهر ووقار !

ليس الحجاب هو الذي يرعى شرف الفتاة .

إنما تحرسها تربيتها ومشاركتها في الثقافة !

فهذبوا عقول العذارى ، حتى تظل أجساد العذارى في مأمن من الشرور والآثام[1] !

ومهما يكن من شيء ، فإن الزهاوي لم يفعل أكثر من

(١) الباب : ٢٣٥، ٢٦ widmer ,op Cit , p . p . 44 - 45 (المترجم)

اضطررنا في نقل هذا النظم إلى « ترجمة الترجمة » بدلا من النص العربي الأصلي ؛ إذ لم نحصل على ديوان الباب الذي ذكره الأستاذ المؤلف . والموجود منه في دار الكتب المصرية الجزء الأول فقط (١٩٠٨) وكان في المقارة ! ومن الطريف أن الزهاوي — مع دعوته للسفور وحمله على الحجاب — لم يأذن لزوجته أن تسفر .

راجع مقال الأستاذ رفائيل بطي عن « المرأة في شعر الزهاوي » ، بالهلال عدد مارس سنة ١٩٤٧ .

التلميح والإشارة إلى قوانين الزواج والطلاق . وأعظم من ذلك . الكاتب الاجتماعي التونسي طاهر الحداد الذي نشر في عام ١٩٣٠ كتاباً عن « نساؤنا في الشرع وفي المجتمع » . وقد ذكر فيه أن قوانين القرآن وأصول التشريع الإسلامي لا ينبغي أن تعتبر نهائية ، وثابتة لا تتغير ، بل يجب أن ينظر إليها بعين التطور . ورأى أن روح الحضارة الإسلامية تتطلب عمليات مستمرة من هضم ممتازاتها الخاصة للرقي الحضاري .

كما أن الأدب العربي الحديث في مصر — في تصويره وتحليله للمشكلات الاجتماعية — قد دخل فيه نقد مفهوم ضمناً للعقبات القانونية التي تقف في سبيل المساواة التامة للنساء . وكان من بين الاقتراحات الأولى التي حيرت وزارة الشئون الاجتماعية الجديدة — التي أنشئت في مصر عام ١٩٤٩ — تقييد تعدد الزوجات ، وتحديد حالات الطلاق . ولكن على الرغم من أن الحلول التي وضعتها الوزارة لم تشتمل على أكثر من جزء معقول من الإصلاحات التي يرغب فيها الرأي العام المثقف ؛ فإنها قد تسببت في ظهور شكوى ممثلي الرأي العام في الأزهر ، من أنها كانت تناقض الشريعة ، وأن الأجدر بالوزارة أن تنتبه إلى سباق الخيل والميسر وسائر المساوىء الاجتماعية الأخرى التي نهى عنها القرآن والسنة .

إن المجدد الحقيقي لا يمكنه أن يتخلص من مأزقه ، بتشبثه الشمل بسهولة ؛ إذ أن القرآن ينبغي أن يكون حقيقياً ونهائياً . ومع ذلك فليس من السهل أن نشعر بوجود شيء من الخطأ في السلوك الاجتماعي السائد بين المسلمين . ثم إن مما يجرح شعوره كمسلم ، أو يخدش كرامته كرجل ، أن يرى أن الشيء الوحيد الذي يعرفه رجل الغرب العادي عن الإسلام ، هو أن المسلم قد يكون له أربع زوجات ! ويزيد آلامه استفادة إرساليات التبشير من مشكلاته . فليس لديه سوى مخرج واحد ؛ فإن المثل العليا في الإسلام لا تقع في أي طريق من المستويات العليا ، وعلى ذلك فلا بد أن علماء القرون الوسطى قد حادوا عن الروح الحقيقية للقرآن والإسلام .

وهذه الأخطاء يجب أن يقتفي آثارها إلى منابعها ، ويشك فيها . وعندما تصبح واضحة فإن تعاليم القرآن والسنة ، ستظهر عدالة هذه القواعد تجاه الرجال والنساء . وستعني هذه التعاليم — قبل كل شيء — باتجاهات العامة ، وتحدد ما يجب أن يكون عليه روح التفكير في القانون وتنفيذه . وهذه الروح — فيما يتعلق بالنساء — لا يمكن أن تكون سوى جزء من المواساة الإنسانية ، واحترام الشخصية ، واجتهاد لدفع المساوىء التي خلقتها طبيعة المجتمع القاسية الغاشمة .

وبعد فهم هذا الاتجاه ومعرفة قيمته وهضمه تماماً ، فإن التشريع القرآني سيفهم على وجهه الصحيح . ويرى المجدد أنه عندما يحدث كل هذا ، فإن موقف المسلمين تجاه المرأة ، ونظرتهم إلى شخصيتهم ومركزهم الاجتماعي ، والتشريعات الخاصة بحمايتهم ، كل هذه ستكون أعظم وأكثر سماحة في نوعها ، بل إنها تفوق مثيلاتها في سائر الأديان .

إذن فهذا هو العمل أمام المجدد . ويجب أن نكرر القول بأن أول أعمال المجدد المعارض هو إعادة مجد العقيدة في الإسلام ، بين المسلمين الجاحدين ؛ وذلك بإثبات أبهى محاسن دينهم بجلاء . ثم إقناع المسلمين المتأخرين (الطراز القديم) بأنهم بمحافظتهم الاجتماعية ، وتمسكهم بنصوص القانون الحرفية ، إنما يطفئون النور ا وإلى جانب ذلك لا يستطيع المجدد أن يقاوم الفرصة للقضاء على الابتسام الكاذب في وجه المبشر ، بمهاجمة التقاليد الجنسية في المسيحية ، واختيار أمثلة مؤلمة التاريخ والدستور الاجتماعي للعالم المسيحي . وعلى ذلك ففي مناقشة المسائل الدينية قلما يختلف المعارضون والمخالفون . وليس عجيباً أن المسلمين الذين يعرفون الغرب عن طريق الحياة في المدن الكبرى ، والأفلام والقصص والمجلات ؛ إن هؤلاء المسلمين ينظرون بازدراء إلى المستويات والتقاليد الجنسية في المجتمع الغربي .

(يتبع) محمد محمد علي

(الرسالة) نلاحظ على المترجم الفاضل أنه يؤثر الترجمة الحرفية ، ولا يستعمل المصطلحات الفقهية ، لذلك ينطبق على أسلوب ترجمته الضعف ، وعلى معانيها الغموض .

اطلب كتاب

مبادىء في القضاء الشرعي

من صميم القلب :

لك الله أيها العربي ! ...

للاستاذ صبحي ابراهيم الصالح

لك الله أيها العربي ! كم ثارت في وجهك الشدائد فصمدت لها في بطولة ، واعترضت طريقك العقبات فذللتها برجولة ! وكم أتى الدهر بنيانك من القواعد فاستأنفت البناء ، وداهمت حياتك النائبات فصبرت على القضاء !

لك الله ما أفقر دنياك وأغنى قناعتك ، وما أتعس عيشك وأسمى غايتك ، وما أبخل زمانك وأسخى راحتك !

أنت للفقر تدافعه ، وللبؤس تصارعه !

أنت للضعف تغالبه ، وللذل تحاربه !

أنت للعدو تجاهده ، وللدهر تعانده !

أنت لوزرائك تدينهم على التكاسل ، ولزعمائك تحاسبهم على التخاذل ، ولملائك تشكو ما هم فيه من تجاهل !

أنت لأغنيائك تألم من بخلهم ، ولفقرائك تبكي على ذلهم ، ولنفسك تتوجع على ما أصابها من حرمان ، وما تجرعت من كؤوس الهوان !

بل أنت للمصائب كلها ، وللخطوب جميعها ... فما أعظم ما تلقاه ، وما أقل حظك في الحياة !

***

كأني بفتن الدنيا تبحث عن محتمل لها فلا تظاهر إلا عليك ، وبمحن الزمان تنشد صابراً عليها فلا تتداعى إلا إليك ، فإذا عصفت القوى يلقى الأشواك في دربك ، وإذا ضمك الورود يدفن الاستقامة في قلبك !

فلك الله من شاك كظيم لا يجد سميعاً !

ولك الله من مجاهد عظيم لا يلقى تشجيعاً !

***

أين رجالك الذين وعدوك الكرامة فأذلوك ، وزعماؤك الذين لبسوا مسوح الرهبان فأضلوك ، وأغنياؤك الذين شربوا دمك ثم استأكلوك ، وعلماؤك الذين اتخذوا آلهتهم هواهم ثم أهملوك ؟

أين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ليقاتلن صفاً كالبنيان المرصوص أو يحرروا فلسطين ، وليهضن نهضة واحدة للغاصبين الغادرين ، وليلحقن بالطرد أذل الشعوب ، جرائم الفساد ، لصوص العالمين ؟

أين الذين أشعلوا بنارهم حماستنا ثم أطفأوها بمائهم ، وفتحوا بهتافهم عيوننا ثم أطبقوها برقادهم ، وما زالوا يعالجوننا بالعاطفة ونحن إلى العقل أحوج ، ويأخذوننا بالارتجال ونحن نروم النظام ، ويرقدوننا بالمسكنات ونحن نلتمس الشفاء !

***

إن هؤلاء سواء عليهم أدللتهم أم لم تدللهم لا يكترثون ، وسواء عليهم أذكرتهم بتقصيرهم أم لم تذكرهم لا يأبهون ، وسواء عليهم أصرحت لهم أم عرضت بهم لا يبالون .

ولو أنك أكثرت الصراخ المختنق ، ومزقت الصدر الحرج ، وقطعت الحنجرة المكروبة ، وأطلقت الحشرجة المكبوتة ، فلن تسمع منهم إلا ألسنة بليلة ، وأصواتاً ندية ، ربما أرضت البيان الرفيع ، ولكنها لا ترضي الحق الصريح !

ولكن ... هون على نفسك ، فلا تريض باليأس قلبك ، ولا تمصر بالقنوط فؤادك ، بل اصرخ أيها العربي في النفوس الراقدة علها تفيق ، وفي الأرواح الهامدة علها تتحرك ، وفي الضمائر الميتة علها تحيا ، وفي المشاعر الساكتة علها تنطق ، فقد اقتربت النار وقضي الأمر ، وقد داهمك اللصوص بالخيانة والغدر ، وقد سرقوا متاعك بالخداع وبالمكر . على أنك إذا وثبت وثبك ، وأطعت قلبك ، أطفأت النار قبل أن تلتهم الديار ، ولحقت باللصوص الجبناء قبل أن يولوا الأدبار ، واسترجعت متاعك قبل أن يتواروا عن الأبصار !

***

وإني لأحذرك أيها العربي قوماً كالثعالب ، أنت تعرفهم بلحنهم الكاذب ، فقد لدغت من جحرهم مرات « والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين » ولقيت من مكرهم ويلات ، والمكر

الفتوة عند الصوفيين

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

أما المنزلة الثالثة فهي تختص بما يكون من الفتى نحو خالقه ، وهذه المنزلة تشتمل على أمور ثلاثة :

أما الأمر الأول : فهو أن الفتى يجب ألا يتعلق في السير للوصول إلى الحضرة الربانية بدليل ، فالسائر في طريق الوصول إلى هذا المقصد يسير على قدم اليقين ويستدل في طريقه بالبصيرة والمشاهدة ، ويسترشد بما تقع عليه عينه من آيات باهرة تدل على قدرة الله وكمال ذاته ، فاسترشاده بغير هذا وسيره مع الدليل آية على عدم نفاذ بصيرته وسلامتها ، ودليل على أنه لم يخلص في طلبه ولم يشتم رائحة اليقين ؛ وفي هذا قال بعضهم (من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم تحل له دعوة الفتوة أبداً) . والمعرفة عندهم ضرورية لا استدلالية ، لأن الرسل عليهم السلام لما أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى عباده ، دعوهم إلى عبادته وتوحيد ذاته ولم يدعوهم إلى الإقرار بالله سبحانه ، بل دعوهم دعوة من لا يشك في وجود القدرة الإلهية ، وأن الله هو الصانع الحكيم ، وخاطبوهم خطاب من ليس عنده أدنى شبهة في الإقرار به ، وأن وجوده ليس في حاجة إلى الاستدلال عليه ، ولا مرشد للسير في طريق الوصول إليه ، فخاطبوهم قائلين : (أفي الله شك فاطر السموات والأرض؟)

وكيف يدعي الفتوة من يطلب الاستدلال على من هو أظهر من دليله بل هو الدليل والمدلول ؛ فالقاصد له من نوره ودلائل قدرته وآثار حكمته أكبر دليل ، ومن خلص قلبه وكمل إيمانه وتفتحت بصيرته وضح أمامه الطريق وظهرت له معالم الشهود فيرى الشهود بغير دليل ، ولا ينال هذه المرتبة إلا من أفنى نفسه في ذات مشهوده وترك ما سواه ؛ وهذا هو معنى الأثر الإلهي (إذا أحببت عبدي كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، فبي يسمع وبي يبصر) .

أما توقف طالب الوصول وتقيده بالدليل الذي يهديه الطريق ، دليل على الشك في إخلاصه . ومن يطلب الاستدلال على الوحدانية والمعرفة وكل آثاره جل علاه دلائل قائمة على وجوده ووحدانيته ومشيئته وقدرته — فليس له أدنى درجة من الفتوة بل يكون مخالفا لها من كل أوجهها .

سئل أحدهم عن ذلك فقال : لو أن رجلا بعث لك رسولا يدعوك إلى داره فقلت للرسول : لا أقوم معك حتى تقيم الدليل على وجود من بعثك ، وأنه مطاع في أهله وأنه أهل لأن يقصد

لا يخفى على ذي عينين ...

حذار من أولئك الثعالب لا تبذل لهم مقادتك ، فإنهم لا أيمان لهم ، ولا عهود عندهم ، ولا مواثيق لديهم « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون » .

فثق بنفسك ، وتوكل على ربك ، واستعن بإخوانك العرب في مصر التي تعلم سهولها الكرامة ، وفي سوريا التي تاق بطاحها دروس الشهامة ، وفي لبنان الذي تعود جباله الشم على الصبر ، وفي الحجاز الذي يهدي صعيده الطيب إلى الطهر ، وفي العراق التي تلهمهم رياحها الشجاعة ، وفي الأردن الذي توحي وديانه البسالة ، وفي اليمن التي تحبب رياضها بالإيمان ، وفي الجزائر التي تزين رمالها الكفاح ، وفي كل قطر عربي لا ينام عن حقه ، ولا يفقد ثقته بنفسه ، ولا يزيد — إذا ما بهرته الشدائد ، وعصفت به الأهوال — على أن يهتف بملء صوته ، ومن أعماق قلبه ، هتاف فخر العرب وسيد الخلق محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يوم قال لعمه أبي طالب : « والله يا عم ! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

فلتأس جراحك بهذه الكلمة النبوية الطاهرة فإنها خير بلسم ؛ ولتمسح بها الدموع عن وجنتيك ولا تضرب بكفك ولا تلطم . ثم إذا بقي الدهر يعاندك ، وظل العدو يجالدك ، فلك الله أيها العربي وهو خير الناصرين .

(طرابلس الشام) صبحي ابراهيم الصالح

ويفشى بابه ، لكنت فى الفتوة دعيا) فكيف تطلب الدليل على من وجوده ووحدانيته وقدرته وربوبيته أظهر من كل دليل تطلبه ، وأقوى من كل برهان تستدل به ، فما من دليل يطلب للاستدلال عليه إلا ووحدانيته وكماله وعفوه وإحسانه أظهر من كل دليل . فأبعد الناس عن الفتوة من طلب الدليل على من هو دليل على نفسه .

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

فالسالك الصادق صاحب اليقين الذى وهبه الله نور البصيرة وكشف له عن جوهر الحقيقة لا يحتاج إلى دليل ، لأن تقيده بالدليل يفرق عزمة قلبه . وهذا انقطاع وخروج عن الفتوة ، وفى هذا قالوا : إن الدليل يفرق والمدلول يجمع ، فالسالك يقصد الجمعية على المدلول ، فماله والتفرقة الدليل . وشبهوا التقيد فى سلوكه بالدليل بالمتكلم الذى يفنى حياته بحثاً فى الزمان والمكان والجوهر والأعراض ، ويقصر همه على هذه الأشياء لا يتجاوزها للوصول منها إلى خالق الكون وعبوديته وتقرير وحدانيته بمقتضى أسمائه وصفاته ، لا يشتغل قلبه بسواه ولا يطلب دليلا على من هو أقوى دليل ، قال الحلاج : (إن المتكلم مستغرق فى معرفة حقيقة الزمان والمكان ، والعارف قد ضن بالزمان أن يذهب ضائعاً فى غير السير إلى رب الزمان والمكان) .

والأمر الثانى : أن تكون وجهة الفتى صادقة ، وإجابته لداعى الحق خالصة ، لا يشوب محبته بعوض ، ولا يطلب من الحظوظ غير الاستغراق فى محبة معبوده والفناء فى ذاته ؛ فإن فعل ذلك فقد نال كل حظ وفاز بكل عوض كما فى الأثر الإلهى :

(ابن آدم ! اطلبنى تجدنى ، فإن وجدتنى وجدت كل شىء ، وإن فتك فاتك كل شىء . أنا أحب إليك من كل شىء) .

فالفتى من يعبد ربه حق العبودية لا يطلب منه أجراً على إخلاصه ، فإذا طلب العبد من سيده أجراً على قيامه بخدمته له سقط من عين سيده وصار عنده أحق بستوجب العقوبة ؛ إذ أن عبوديته تقتضى خدمته ، والذى يخدم بالأجر لا عبودية للمخدوم عليه ، ولا مكان لسيده عنده ؛ وهذا إما أن يكون حراً سيده نفسه أو مملوكا لسواه .

والخلق جميعاً عبيد الله وملكه التصرف فيه ، فهم يخدمونه بحق عبوديته لهم وملكيته إياهم ، فطلبهم للأجر خروج عن محض العبودية وخلاف ناموس الخضوع ؛ فالعبد الذى لا يشوب خدمته بطلب العوض هو المقرب من مولاه الأثير عنده .

سئل أحدهم عن معنى هذا فقال : (إذا كان لك من العبيد أربعة ، أولهم لا يريدك ولا يريد منك ، بل قلبه متعلق ببعض عبيدك فله يريد ومنه يريد ، والثانى يريد منك ولا يريدك ، فهذا إرادته مقصورة على نيل حظوظه منك ، والثالث يريدك ويريد منك ، فهذا يخدمك ويتقرب إليك لنيل ما يبغى فإرادته لك وسيلة . والرابع يريدك ولا يريد منك ، فإرادته مقصورة عليك وعلى مرضاتك ، فهو لا شك آثر الجميع عندك وأقربهم منزلة منك وأحبهم إلى قلبك والمخصوص من إكرامك وعطاياك) .

ويظهر إخلاص العبد لسيده فى القيام بواجب الشكر على ما أولاه من نعم ووهبه من عطايا ؛ لأن حقيقة الشكر عبادة والشكر والشكر مبنى على قواعد خمس .

خضوع الشاكر للمشكور ، والفناء فى حبه ، والاعتراف بنعمه ظاهرها وباطنها والثناء عليه بهذه النعم — أى الإحسان منها إلى عباده وانفاقها فى أوجه الخير ، وهذا هو الثناء بالنعم على النعم — وألا يستعملها العبد فيما يكره سيده ، والاعتراف بأن هذه النعم قد تفضل بها السيد على عبده وهو ليس أهلا لها . قال الجنيد : (الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة) ومن أنواع الشكر أن يفنى العبد نفسه فى ذات المنعم عن رؤية النعمة فكلا تحجبه رؤيتها عن مشاهد التفضل عليه والمنعم بها . قال الشبلى : (الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة) .

والشكر درجتان : شكر العامة ويكون على المأكل والمشرب والملبس وقوة الأبدان وأعراض الدنيا ، وهذا ليس من الفتوة فى شىء ؛ وشكر الخاصة ، ويكون على التوحيد والإيمان وقوة القلب وصفاء النفس . ومعنى هذا أن يكون بالقلب خضوعاً واستكانة ، وباللسان اعترافاً وثناء ، وبالجوارح طاعة وانقيادا ، وهذا من خصائص الفتوة ، وكلما ازداد العبد شكراً ازداد المنعم عليه تفضلا ومنه تقريباً ؛ فى الأثر الإلهى : (أهل شكرى أهل زيادتى ، وأهل طاعتى أهل كرامتى) ويزيد بعضهم نوعاً ثالثا من الشكر وهو أن يكون على ابتلاء الله الذى ينزله بعبده ، فيعتبرون

هذا البلاء نعمة يذكرهم الله بها فهم دائماً فى حضرته .

سأل رجل جعفر الصادق رضى الله عنه عن الفتوة ، فقال له ما تقول أنت ؟ فقال الرجل إن أعطيت شكرت وإن منعت صبرت فقال جعفر : الكلاب عندنا كذلك . فقال له السائل : يا ابن رسول الله فما الفتوة عندكم ؟ قال له : ان أعطينا آثرنا ، وإن منعنا أو ابتلينا صبرنا) وقال آخر : (الفتوة هي إظهار النعمة وإسرار المحنة) .

أما الأمر الثالث من هذه المنزلة : فهو إعراض الفتى عن نفسه وعدم انشغاله بها ، وإهماله مطالبها ، وإذلالها فى سبيل الوصول إلى مقصوده الأسمى وغرضه الأعلى وأن يتهمها دائماً بالتقصير وبأنها العائق فى طريق وصوله ، فيخاصمها فى الله فيكون كما قال محمد بن على الترمذى : (أن تكون خصما لربك على نفسك) فيضمها دائماً موضع التهم ليطامن من كبريائها ويحطم هذا الصنم الذى بينه وبين ربه ليصفو قلبه ولا ينشغل بسوى حبه والفناء فى حضرته . قال الجنيد : (الفتوة كسر الصنم الذى بينك وبين الله تعالى ، وهو نفسك) كما قال عمرو بن عثمان المكى (حرون خداعة رواغة فاحذرها وسقها بتهديد وخوف يتم لك ما تريد) .

وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه كسر الأصنام فجعلهم جذاذا ، فالفتى من كسر صنما واحداً فى الله . وقد قيل (الفتوة ألا تكون خصما لأحد) وذلك فيما يتعلق بحقوق العباد ، أما فى حقوق الله وابتغاء مرضاته ، فالفتوة أن تكون خصما لكل ما سواه وإن كان الحبيب المصافى ، فالسائر إلى المحبوب لا يقف مع حظوظ النفس ، بل يفنى ذاته فى ذات من أحب لأن طريق السالكين والفتوة السائرين على دروب الفناء ، الخروج عن نفوسهم فضلا عن حظوظها ، لأن الفتوة ، العمل على أن يكون الفتى لله لا بنفسه ، والرضى بأحكامه ساءته أم سرته . والخروج عن النفس ، هو حبسها على مراد الله وبذلها فى إقامة دينه وتنفيذه بين أهل المعارضة والبغى والعناد ، يصيح فيهم بالنصائح جهاراً لا تأخذه فى جهادهم فى الله لومة لائم ؛ وهذا تعذيب للنفس فى حب الله وإفنائها فى ذاته ، وهذا عند الفتى الصادق أعظم العيش وأفر الحظ .

ولو ذهبنا نتقصى أقوال القوم فى الفتوة وتحلاها لطال المقام وتشعب بنا الأمر فنكتفى بهذا القدر . ونسأل الله التوفيق ، والأستاذ ضياء الدخيلى من الله حسن الجزاء ومنا وافر الشكر .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

مراجعه .

١ — الأعلام الذين ذكروا فى هذا المقال مفرد لكل منهم بإذن الله بحثاً خاصاً به .

٢ — المراجع التى استقينا منها هذا المقال .
١ — مدارج السالكين .
٢ — الرعاية لحقوق الله .
٣ — مكارم الأخلاق .
٤ — التعرف لمذهب أهل التصوف .
٥ — صيد الخاطر .
٦ — المواقف .
٧ — التصوف الاسلامى .

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ الزيات

نفدت الطبعة العاشرة من هذا الكتاب

أما الطبعة التى تباع الآن فى البلاد العربية

فاحترس منهـــا

انها طبعة مزيفة فيها النقص والخطأ والتحريف

والتشويه زيفها أحد الكتبيين فى القاهرة

انتظر الطبعة الحادية عشرة قريبا

طبعة أنيقة صحيحة فيها زيادات كثيرة

ولاسيما فى العصرين العباسى والحديث

شـــــعوب القوقاز

الأستاذ برهان الدين الداغستاني

(مهداة إلى الأستاذ محمد أسامه عليه تعقيباً على ما نشره في العدد ٧٨٤ ص ٧٩٧ من الرسالة الغراء)

سيدى الأستاذ : قرأت — وأنا على أهبة الســـفر إلى الإسكندرية في طريق إلى دمشق ، ما كتبتموه تحت عنوان : « نصوص تاريخية في الرد على تعقيب » فلم يكن في الوقت متسع ، ولا في البال فراغ ، فلم أستطع الكتابة يومئذ ، ثم تلاحقت المشاغل ، وتواردت الموانع ، واتصلت حتى استطعت أخيراً أن أختلس بعض الفراغ لأبعث إليكم بهذه الملاحظات التي أرجو أن تلقى لديكم بعض العناية والرعاية والصدر الرحب .

إنكم نقلتم عن تاريخ الجراكسة للأستاذ محمد بك فكرى ما نقله عن المؤرخ الفرنسي « س لامار » من أن الكرج ، والجركس ، واللزكى ، والحجبي فروع أصل واحد ، ثم نقلتم عنه أيضاً قوله : دلت التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والكرج ينتميان إلى (جد) مشترك .

وأحب أن أوجه نظركم الكريم إلى أن موضع النزاع بيني وبينكم — إن كان هناك نزاع — هو أن يكون الكرج ، والجركس ، واللزكى ، والحجب شعباً واحداً ، لا أن يكونوا (فروع) أصل واحد ، أو منتمين إلى (جد) مشترك ! كيف ونحن — معشر المؤمنين بوحي السماء — ما زلنا نعتقد أن الشعوب كلها تنتمي إلى جد مشترك ؟ أما من هو هـذا الجد المشترك ، أو الأصل الذى تفرعت عنه هذه الفروع وفي أى عصر كان ؟ فهذا ما لا أحب أن أعلق عليه أو ألقى إليه بالاً ! . ويبدو لى أنك شعرت بينك وبين نفسك أن ما نقلته عن « س لامار » لا يجدى عليك في دعواك فتيلا ، ولا يغنى عنك شيئاً ، فنقلت ما جاء في كتاب الجراكسة لمحمد بك فكرى (حـ ١ ص ٦): « أن لفظ الجركس عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقازية ، فيكون الجركس يؤدى مؤدى القوقاس » فمن أين للأستاذ محمد بك فكرى هذا ، وما سنده من التاريخ القديم ؟ .

وكيف استبحتم نقل مثل هذه الدعوى الخيالية من أى سند في معرض التدليل ؟ .

وهل هذه إلا المصادرة المعروفة عند الجدليين ؟ ! .

على أن من الطريف أن محمد بك فكرى ادعى في تاريخ الجراكسة (حـ ١ ص ٦) « أن لفظ الجركس عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقازية » ثم رتب على هذه الدعوى هـذه النتيجة : « فيكون الجركس يؤدى مؤدى القوقاس » . قبل أن يدلل عليها ، ثم نقل في (حـ ١ ص ١٢) عن « س لامار » أن الكرج ، والجركس ، واللزكى ، والحجب ، (فروع) أصل واحد ، وفي (حـ ١ ص ٢٢) قال : « دلت التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والكرج ينتميان إلى جد مشترك »

فهل هذا الذى نقله في (حـ ١ ص ١٢ ، و حـ ١ ص ٢٢) يتفق مع ما ادعاه وقرره في (حـ ١ ص ٦) ؟ .

ويظهر أنكم شعرتم باضطراب موقف صاحب تاريخ الجراكسة ، فغيرتم ترتيبه ، فنقلتم ما كتبه في (حـ ١ ص ١٢ ، و حـ ١ ص ٢٢) أولاً ، ثم نقلتم ما كتبه في (حـ ١ ص ٦) أخيراً . ولكن هل هذا التقديم ، وذلك التأخير غيرا من أصل الموضوع شيئاً ؟ . والظاهر أنك شعرت بهذا الاضطراب في نصوص كتاب تاريخ الجراكسة وأنها لا تؤدى إلى ما قصدت فأوردت أسطورة — وإن شئت سمها أحجية — « أركس ، وآس ، وتركس ، وكسا » نقلا عن « عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » للبدر العيني .

ولهذه الأسطورة عندى تاريخ قديم ، وحديث عجيب ، ما كنت أحب أن أعرض له لولا أنكم أوردتموها واثقين بها معتمدين عليها ، فرحين بها ، مغتبطين لها ، فقد حدثنى بها من عهد بعيد أستاذ جليل القدر ، كريم المنزلة ، أعزه وأحترمه وأحفظ له في نفسى تقـــديراً واحتراماً ، وإكباراً وإجلالا ، ولا حاجة الآن إلى ذكر اسمه الكريم ، وإن كنت أعتقد أنه هو الذى أخبركم بأسطورة البدر العيني أيضاً . فصارحته برأيي في قيمة هذه الرواية التي لم يعرفها أحد قبل عصر البدر العيني ، والتي لم تظهر إلا في ظل سلطان المماليك وفي مقرّ دولتهم ، ومركز عزهم في مصر ، وأذكر أنى قلت له يومئذ : إنها أشبه

بأسطورة أو أحجية من الأحاجي وضعت وضعاً لإرضاء السلطان وتزلفاً إلى أصحاب النفوذ . وإلا فكيف لم يطلع على هذه الرواية — إن كان لها أصل — أحد من المؤرخين قبل البدر العيني ، وخفيت عليهم جميعاً حتى أوحى بها إلى البدر العيني في الزمن الأخير في عهد دولة المماليك — وجلهم أو كلهم من الجراكسة المتشرين في القوقاز الشمالي الغربي — وسلطانهم المبسوط على مصر والشرق ؟[1]

كان هذا رأيي في رواية البدر العيني هذه من عدة أعوام ، وأن الأيام لم تزدني إلا إيماناً ، واستمساكاً بهذا الرأي . فهي رواية ولدت وترعرعت في ظل حكم المماليك الجراكسة من غير أن يكون لها سند من تاريخ ، أو مرجع تعتمد عليه .

ومن هذا القبيل ما شاع في كتب بعض المؤرخين الذين عاشوا في عهد المماليك واتصلوا بهم مثل ابن خلدون[2] من إطلاقهم اسم جبال الشركس على جبال القوقاز أو تسميتهم شعوب القوقاز جميعاً شراكسة فإنه اصطلاح طارئ حديث نشأ في ظل سلطان المماليك الشراكسة ، وانتشر في عهدهم .

وفي ظني أن هذه الرواية التي أوردها البدر العيني ، وهذا الاصطلاح على تعميم اسم الجركس على جميع القوقازيين ما هو إلا من قبيل التقرب إلى السلطان الجركسي والتزلف إليه ، لأن معظم هؤلاء المماليك — أو كلهم — كان من أتى بهم من سواحل البحر الأسود حيث ساكن قبائل الجراكسة . ومن هذا القبيل أيضاً تلك الدعوى الطويلة العريضة التي كانت تزعم أن الجراكسة من قريش !. وألفت في يوم من الأيام لإثباتها الرسائل ؟ !

على أن البدر العيني — حسب رواية الأستاذ — يبدأ كلامه بدءاً غير موفق إذ يقول : ومن الترك الجركس الخ . فهل يسلم الأستاذ مع البدر العيني أن الجركس من قبائل الترك ؟ ثم إنك — يا سيدي الأستاذ — بعد أن تفرغ من رواية أسطورة البدر العيني وشرحها وتوجيهها كما تشتهي قلت :

« واتبع البدر العيني المصطلح القديم ، وهو إطلاق الجركس على القبائل الأربع التي في جوانب جبل القوقاز » .

فأي مصطلح قديم هذا الذي تشير إليه ؟ ومن الذي ذكره وقال به قبل البدر العيني ؟ .

وأما تفسير كلمة « جركس » وادعاء أن أصلها الكريم جهاركس . ومعناها في لغة الفرس الرجال الأربعة فإنه لا يهمنا في الموضوع الذي نحن بصدده قليلا أو كثيراً ؛ لأن هذه الدعوى وهذا التخريج مهما قيل فيهما لا يزيدان ولا يرجحان على محاولة سابقة لشرحه كلمة « الجركس » فقد زعم زاعمون من قبل أن أصلها مركب من كلمتي « جرا » ، « كسا » وأن المرحوم « كسا » كان من أشراف قريش ، فجنى جناية وهرب إلى القوقاز ، وأقام بها ، وعلى هذا يكون أصل الجراكسة من قريش !.

هذا تعليق حاولت أن أجمله وجيزاً جهد الطاقة على ما دعوته نصوصاً تاريخية ، وما هي من التاريخ في شيء .

وبعد هذا أضع بين يديكم بعض الأسماء التي كانت معروفة في التاريخ القديم لسكان جبل القوقاز ، والتي أطلقها عليهم قدماء المؤرخين . وأبدأ ذلك بأن المؤرخين العرب الأقدمين كالمسعودي وغيره كانوا يسمون جبال القوقاز بلاد القبج أو جبال القبج لا جبال الجركس أو بلاد الجركس كما نص على ذلك المرحوم شيخ العروبة أحمد زكي باشا في قاموس الجغرافيا القديمة . هذا بالنسبة إلى منطقة القوقاز جملة .

وأما أسماء سكان البلاد تفصيلا ، فإن سكان الجهات الشرقية الشمالية من القوقاز — حيث ساكن الداغستان ، والحجب ، وشروان الآن — كانوا يسمون في بعض الكتب القديمة ألبانيين وكانت بلادهم تدعى ألبانيا . كما ذكر ذلك أيضاً المرحوم زكي باشا في كتابه السابق .

وإن اسم الحجب كان معروفاً قديماً ، وكان يطلق على الشعب الساكن في الشمال من بلاد الداغستان حيث ساكن الحجب إلى يومنا هذا .

كما أن اسم الأورا — وهم أسلاف اللوزكيين الحاليين من

---

(١) ولد البدر العيني في عينتاب سنة ٧٦٢ هـ وأقام في حلب ودمشق والقدس ومصر وكان من أخصاء الملك المؤيد ، وسمير الملك الأشرف وملازمه ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ

(٢) ولد ابن خلدون سنة ٧٣٢ هـ ولقي السلطان الظاهر برقوق وتولى قضاء المالكية بالقاهرة ثم توفي بالقاهرة فجأة في سنة ٨٠٨ هـ .

الداغستانيين — كان معروفاً حول القرن الرابع الميلادى ، وقد أطلق على شعوب القوقاز الضاربين فى الجانب الشرقى للقوقاز أسماء مختلفة مثل الخزر ، قوميق ، ألان . وهذا الاسم الأخير يظهر لى أنه اسم اللازكيين القديم ، فهو يطلق فى الكتب القديمة على شعب مقيم فى مساكن اللازكيين الحاليين ، وأن ظن بعض الكتاب أنه اسم الأوسيت . ذلك أن الأوسيت معروفون باسم الأوسيت من قديم ، ويسكنون فى جهة تقع فى الشمال فى قلب منطقة الجبال على الشمال الغربى من مواقع اللازكيين .

هذا فى القسم الشرقى من القوقاز ، أما فى القسم الغربى منه فإن اسم الأديغة كان معروفاً من قديم ، وما زال يطلق على سكان الجزء الشمالى الغربى من القوقاز ، ويمكن اعتباره اسماً جامعاً لشتات قبائل الجركس المنتشرة فى تلك الجهة مثل : أبهاسو ، الأوبنج ، الشبوغ ، الأبزاخ ، القبرطاس ، الأبازة . مع ما بين قبيلة الأبازة وبين بقية قبائل الجركس من اختلاف فى اللغة يتعذر معه التفاهم بين هؤلاء وأولئك .

هذه هى الأسماء التى كانت تطلق قديماً على سكان القوقاز الشمالى شرقيه وغربيه ، ثم ظهر فجأة اسم الجركس فى العصور المتأخرة ، وصار يطلق على بعض — وأحياناً على كل — القبائل الساكنة فى القوقاز الشمالى الغربى ، ثم انتشر هذا الاسم وصار يطلق — من غير تحقيق أو تدقيق — على جميع سكان القوقاز فى عصر المماليك كما فعل البدر العينى ، ومال إليه ابن خلدون ، ثم شاع هذا الاستعمال فى الشرق الأدنى فى فترة أخرى من التاريخ على أثر تلك الهجرة الواسعة النطاق التى قام بها الجركس إلى الممالك العثمانية على أثر تغلب الروس عليهم واحتلالهم لبلادهم

ولكن هذا كله لا يجعل هذا الإطلاق صحيحاً أو دقيقاً ، بل لا يعدو أن يكون ضرباً من ضروب التساهل من الكتاب أو عدم وقوف على حقيقة الحال من تنوع الشعوب فى تلك الأقطار الشاسعة ، واختلاف أصولها وتنوع أجناسها .

وإن الحديث عن شعوب القوقاز ، وكثرتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم حديث قديم طويل ، حتى كان المؤرخون القدماء من العرب يسمون القوقاز بلاد الشعوب والجبال ، وكان زاعمهم يزعم أن فى تلك البلاد نيفاً وسبعين شعباً لكل شعب لغته الخاصة به ! . وكذلك كان صنيع مؤرخى الرومان واليونان ، فسترابون يؤيد نظرية نيف وسبعين شعباً ، وهكذا بقيت هذه الأسطورة عالقة بالأذهان إلى عصور متأخرة جداً حتى جاء علم اللغات المعاصر ، وأعار هذه القضية أهمية خاصة ، وبحث مسألة تعدد لغات القوقازيين بحثاً علمياً دقيقاً ، واستطاع أن يهدم تلك النظريات ، والآراء الشائعة المبنية على معلومات غير دقيقة ، ففى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ابتدأ العالمان الألمانيان : « تليدن أستاد » و « پالاس » الأبحاث العلمية عن أصول اللغات القوقازية ، واستطاعا إرجاعها إلى الأصول الآتية :

١ — اللغة التترية : وهى لغة الشعوب التركية الأصل .
٢ — « اللازكية : وهى لغة الداغستانيين .
٣ — « الكستينية : وهى لغة الججانيين .
٤ — « السركسيانية : وهى لغة الأديغة .
٥ — « الأوستينية : وهى لغة الأوسيت من الشعوب الإيرانية القديمة .
٦ — اللغة الكرتفليانية : وهى لغة الكرجيين .

وأصبح هذا التقسيم للغات القوقازيين أساس علم اللغات القوقازية فيما بعد استند عليه علماء القرن التاسع عشر واعتمدوه

وفى القرن العشرين أكد العالمان : « الفونس دير » و « نيقولامار » نتائج أبحاث أسلافهما فى تقسيم اللغات القوقازية

ويرى عالم آخر من علماء القرن العشرين أن اللغات القوقازية يجب أن تقسم إلى فصائل أربع وهى :

١ — اللغة اللازكية : وهى لغة الداغستانيين .
٢ — « الججانية .
٣ — « الكرتفليانية : وهى لغة الكرج .
٤ — « الإبهاسية : وهى لغة قبائل الجركس .

ويعد بعضهم لغة الداغستانيين ولغة الججان من فصيلة واحدة

وبناء على نتائج هذه الأبحاث العلمية يمكن تقسيم شعوب القوقاز الشمالى إلى قسمين أساسيين :

١ — سكان القسم الغربى من القوقاز وهم : الأبهاسو ، والأوبنج ، والشبسوغ ، الأبزاخ ، القبرطاس ، الأبازة . وهى جميعاً قبائل جركسية .

٢ — سكان القسم الشرقي من القوقاز الشمالي وهم : الداغستان والجحان . وإلى هذين القسمين الرئيسيين يمكن إرجاع بقية الشعوب والقبائل المنتشرة في القوقاز مثل : قره جاي ، بالكار ، قوميق ، نوغاس ، وهذه كلها من الفصيلة التركية ، وأوستين . وهي من الفصيلة الإيرانية ، والتي منها الفرس والكرد والأفغان .

هذا وقد سلك العلامة شمس الدين سامي بك في قاموس الأعلام مسلكا آخر في تقسيم شعوب القوقاز ، فهو يقسمهم أولا إلى سكان أصليين وأقوام طورانيين ، وأمم آرية ، ثم يقسم السكان الأصليين فيقول :

أما سكان القوقاز الأصليون ، فهم أقوام وأجناس وشعوب كثيرة ، ويمكن إرجاعهم إلى هذه الأقسام الرئيسية :

١ — الجركس الذين يسكنون حوض نهر قوبان وبالقرب من منابع نهر تراك الغربية في القسم الغربي الشمالي من القوقاز ، ويمكن أن يضم إليهم الأبازة[1] الساكنون في منحدرات سلسلة الجبال الغربية الجنوبية على القرب من سواحل البحر الأسود . والجحن[2] الساكنون إلى الشمال من بلاد الداغستان .

٢ — سكان بلاد الداغستان الأصليون ، وهم اللزكيون الساكنون في المناطق الشمالية الشرقية من جبال القوقاز ، وهؤلاء اللزكيون من سكان القوقاز الأصليين ، كانوا يسكنون هذه البقعة من أقدم العصور حتى إن « هيرودت » ذكرهم بهذا الاسم في تاريخه الذي كتب في حدود سنة ٤٥٠ قبل الميلاد .

ويحتمل أن يكون لهؤلاء اللزكيين صلات نسب وقرابة مع الكرج والجركس واللاز وغيرهم من أمم القوقاز الأصليين ، غير أن إثبات هذه الصلة بين هؤلاء الأقوام يفتقر إلى ما يثبته ، فهو مجرد احتمال لا دليل عليه .

٣ — سكان المنطقة الجنوبية من سلسلة الجبال أمثال الكرج والإيمرت والنكرلي . وإذا كان بعض المحققين من العلماء حاول عد الكرج من الأمم الطورانية أو الآرية إلا أن الأدلة التي ساقوها لإثبات ذلك لا تعد كافية .

على أن بعض الأبحاث التي أجريت حول لغة الكرج تدل على أن الكرج مثل بقية أمم القوقاز لا يمتون بصلة إلى الآريين أو الطورانيين أو الساميين ، بل يغلب على الظن أنهم بقايا أمم قديمة منقرضة كانت اجتازت هذه المناطق في أثناء هجراتها من آسيا إلى أوربا ، ومن أوربا إلى آسيا .

٤ — أمة الأوسيت ، وسوآنت الساكنون بالقرب من منابع نهر تراك .

هذه خلاصة وافية لما ذكره العلامة شمس الدين بك سامي في قاموس الأعلام عن شعوب القوقاز ، ومنه ومما قبله من بيانات وآراء للعلماء والمؤرخين الموثوق بآرائهم يتبين أن الداغستانيين والكرج ، والجحان ، والأوسيت ، والجركس أمم قائمة بذاتها لكل واحدة منها لغتها أو لغاتها الخاصة بها ، ولها كيانها المستقل . وعلى ذلك أرى أني حين قلت في الرسالة (العدد ٧٨٣ ص ٧٧٠) : إن اللاز يمتون بصلة النسب أو القرابة إلى الكرج ، وأن الكرج غير الجركس لم أكن مجانباً الحقيقة ، ولم أكن أحاول تسيير التاريخ حسب الهوى والغرض كما أردت أن تصور لي أمام قرائك ، بل كنت أقرر حقيقة علمية ثابتة لا سبيل إلى إنكارها ، أو التحايل على طمسها .

وبعد : فإني أشكرك — يا سيدي الأستاذ — جزيل الشكر على أن أتحت لي هذه الفرصة للتحدث عن شعوب القوقاز بشيء من الإفاضة والتفصيل . والسلام عليك ورحمة الله .

(دمشق) برهان الدين الداغستاني

(١) يلاحظ صاحب الأعلام أن بين لغة الأبازة وبين لغة بقية الجراكسة اختلافاً كبيراً يتعذر معه التفاهم بين هؤلاء وبين أولئك . ولذلك يتردد في عد الأبازة من الجركس .

(٢) هذا مخالف لما سبق من عد الجحن قسماً قائماً بذاته ، واعتبارهم مع الداغستانيين وينبغي ملاحظة عدم وجود أية صلة بين لغة الجحن وبين لغة الجركس .

٣١ . ٣٢

اطلب كتاب

دفاع عن البلاغة

رحلات فى بلاد الشام فى القرن (الثامن عشر الهجرى)

اردان حلة الاحســـان
فى الرحلة إلى جبل لبنان[1]

لمصطفى البكرى الصـــديقى
(١٠٩٩هـ - ١١٦٣هـ - ١٦٨٧م - ١٧٤٨م)
للأستاذ أحمد ســـامح الخالدى

لا شك أن الدافع لرحلة الشيخ هذه وغيرها من الرحلات، ولتنقلاته المستمرة فى المدن والقرى، إنما كان حرصه على نشر الطريقة الخلوتية والاتصال بأعوانه ومريديه. ولقد كان الشيخ مكثاراً فى النظم والنثر، بل إنه ليؤلف الكتاب أو الرسالة فى أيه مناسبة. ولا شك أن نظمه ونثره يمثلان عصره أصدق التمثيل فقد امتاز هذا القرن بالسجع، والركاكة فى الأسلوب، كما يتبين من دراسة رجال هذا القرن فى كتاب أعيان القرن الثانى عشر للمرادى.

ولقد انتقل الشيخ من دمشق إلى القدس وتزوج فيها وتتلمذ على شيوخها وامتد نفوذه فيما بعد إلى جميع أنحاء فلسطين، وإلى سوريا بل وحتى إلى مصر والعراق.

وقد ساهم فى الحياة العامة فى فلسطين فعمر الحرم القدسى خلوة، وبئراً، وحاول أن يصلح البراغثة شيوخ بنى زيد وكانوا قد اختلفوا فيما بينهم، كما شوق الحاج حسن بن مقلد الجيوش لزراعة الأشجار المثمرة حول قبة الصخرى سراقة فى (كور) من أعمال قضاء بنى صعب.

ويستدل من رحلته هذه أن حالة الأمن لم تكن مرضية فى زمنه، فقد جاء ذكر تعدى الأعراب على القوافل بين الخليل وعسقلان، كما تعدوا على الشيخ القافلانى مفتى الديار القدسية، فسلبوه بعض ثيابه وما كان يحمل من الكتب.

ويلاحظ أيضاً أن الشيخ كان يتير طرق سيره، فبدلا من أن يسلك الجادة السلطانية بين القدس والخليل ماراً ببرك سليمان، غير طريقه إلى بنى حسن وهى ناحية إلى الجنوب الغربى من القدس مخافة قطاع الطريق.

ويستدل من وصف الشيخ لبعض المدن التى اجتازها أن (حاصبية) كانت حينذاك قرية يقطنها الدروز وهى الآن مدينة كما أن مدينة حيفا التى يبلغ عدد سكانها الآن مئة وخمسين ألفاً، لم تكن سوى قلعة حصينة على ساحل البحر المتوسط. ووصفه هذا لحيفا ينطبق على وصف معجم البلدان، بعض الشىء. فقد جاء فى معجم البلدان (ج ٣ — ص ٣٨٢): « حيفا غير ممدود، حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، لم يزل فى أيدى المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفرى الذى ملك بيت المقدس سنة (٤٩٤ هـ) وبقى فى أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين فى سنة (٥٧٣ هـ) وخربه ».

ويصف لنا الشيخ زيارته أكثر من مرة للخليل، ويذكر كرومها، ويستدل من هذا أنها كانت محاطة بكروم العنب وهو حالها اليوم.

ويذكر الشيخ فيما يذكر أن الأمر السلطانى صدر باسم والدته لتعمير قناة الماء إلى الحرم القدسى. وهذه القناة ليست حديثة فقد جاء فى الأنس الجليل ج ٢ — ص ٣٨٧ عند ذكر الأمير تنكز الناصرى نائب دولة المماليك فى الشام « وهو الذى عمر قناة الماء الواصلة إلى القدس، وكان ابتداء عمارتها فى شوال سنة (٧٢٧ هـ) ووصلت إلى القدس ودخلت إلى وسط المسجد الأقصى فى أواخر ربيع الأول سنة (٧٢٨ هـ) وعمل البركة الرخام بين الصخرة والأقصى » وتعرف هذه الآن بالكأس، ويظهر أن هذه القناة خربت، فعمرت مدة ثانية كما يذكر الشيخ. وهذه القناة تمتد من برك سليمان إلى الحرم وتسيل بالانسياق لولو برك سليمان عن الحرم القدسى، وهى من حجر.

والظاهر أن الشيخ كان أباً عطوفاً، فقد مر كثيراً بابنته (علما) وحزن حزناً عميقاً عند وفاتها وهى لا تزال طفلة، وقد رزق ولده محمد كمال الدين فى القدس. ولقد كان الشيخ يزور مقام (على بن عليل) وهو من نسل عمر بن الخطاب، ويعرف بسيدنا على بن عليم عند العامة، وله موسم يقصده الزوار كل عام.

ويسجل الشيخ بألم ظاهر فى هذه الرحلة وفاة قطبين عظيمين

(١) مخطوط فى خزانة الكتب الخالدية

تتلمذ عليهما ، وكان يحترمهما أبلغ احترام أولهما الشيخ عبد الغنى النابلسى الدمشقى القطب الكبير وصاحب الرحلة إلى القدس سنة (١١٠١ هـ) ويعتبر الشيخ من أخلص تلاميذه ، والثانى الشيخ محمد الخليلى مفتى الشافعية فى الديار القدسية ، والصالح العمرانى ، والمؤلف القطب ، وهو من أبرز رجال القرن الثانى عشر فى فلسطين .

وفى الرحلة فوائد أخرى على رغم ركاكة الأسلوب ، وتكرار السجع الممل ، وانصراف الشيخ إلى نزعته التصوفية القوية ، وفيها بعض معلومات عن أصل سكان (الطيبة) من أعمال طولكرم ، ونسب البراغثة فى جبل القدس ، وعن وقف قرية (عابور) فى بنى زيد للحرمين الشريفين ، وما إلى ذلك .

ومن لطائف المصادفات أن يحضر إلى الديار القدسية الرحالة المصرى الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى الدمياطى ، سنة (١١٤٣هـ) وينزل عند الشيخ ، ويأخذ عنه الطريق ثم يصف لنا لقاءه الشيخ فى رحلته المخطوطة ، « سوانح الأنس فى رحلتى لوادى القدس» وقد أثبتنا رأى اللقيمى فى الشيخ البكرى .

وخلاصة القول أن هذه الرحلة المخطوطة التى لم تزد معلوماتنا كثيراً عن لبنان الجنوبى ، شيقة برغم جميع مآخذها ، فإنها تمثل القرن الثانى عشر ، وهو قرن تنقصنا عنه المعلومات والمصادر الوافية ، فتصف لنا بعض نواحى الحياة الفكرية ، وبعض أحوال البلاد القدسية وعمرانها ، ورجالها ولو كان أكثر من اجتمع به الشيخ من رجال التصوف والزهد .

ويظهر أن الملاريا (الحمى الربعية) أصابت الشيخ لتردده على مقام سيدنا على ، وهى منطقة موبوءة بهذا المرض إلى عهد قريب ، فضايقته وأنهكته ، وحاول أن يتلخص منها بالدعاء والالتجاء إلى مقام سيدى داود !

ونحن بعد ذلك نترك للشيخ أن يتكلم ، إذ أنه بعد أن ختم الرحلة الرومية وبدأ فى العراقية أراد أن يبتدىء برحلة بقاعية لبنانية فأسماها (اردان حلة الإحسان فى الرحلة إلى جبل لبنان) فيقول : « اعلم أيها الأخ الواقف على هذه المواقف أن هذا الجبل المعظم المبجل المقصود بالزيارة ، جبل مبارك له خواص عند الخواص أهل الإشارة ، إذ من المعلوم ، لدى أرباب الفهوم والاختصاص ، إن الله تعالى اختص بعض الأمكنة والأزمنة والأشخاص ، وقد طرق السمع ، من أهل المعرفة والسمع ، أن لهذا الجبل ، الذى يفى الجبل ، حالا ظاهر الرجحان ، وإنساً باهر البرهان ، وأن كل من حوله ممن له قدم فى الولاية يأتيه زائراً ولو بالروحانية وهذه على فضيلته آية »

وكان كثيراً ما يجول فى الخاطر ، ويتكرر وروده على الضمير الخاطر ، أن يشد الشيخ الرحل على عيس السرى إليه ، لعله يحظى من بر أهله ومما لديه ، ولكن الأقدار كانت تمنع . ولما آن الأوان ، قصد البقاع العزيز ، ملتجئاً لحمى الهيمن الملك العزيز ، وبعد ما ودع الخلان والأصحاب والإخوان والأخدان يقول :

« وتوجهت مستمناً بالديان ، نحو الديماس ، مع رفقة حسان يوم الخميس سابع عشر ذى القعدة عام أربعين ومائة وألف (١٧٠٧ م) . وقصدت حمى الصالحية ، وقرأت الفاتحة لسكانها أهل الرتب الفلاحية ، ثم صعدت إلى جبل قاسيون ، وحصلت نفحة إقبال من هداة فتحه وتجاوزت قبة السيار الشائقة ، التى تحت قبة النصر الشاهقة وممن رافقنا لهذه الزيارة والقدس الفياح ، الصديق الشيخ عبد القادر الموصلى ثم البغدادى السياح ، المنتمى للعصابة السهروردية المتصلة أنسابهم بالأسرة الصديقية ، والأخ السيد محمد السلفيتى العباسى ، المحب الآسى والصديق المواسى ، أول آخذ للطريق فى الخطرة الأولى ، وقد ذكرته فى الخمرة المحسية فى الرحلة القدسية ، وفى غيرها من الرحلات الأنسية ، وكان الأخ أكبر مساعد ومعين على إظهار الطريق فى الديار المقدسة ، وكنت قبل هذا التوجه الطويل المسافة أذنت له بلبس الكسوة والإرشاد لطلاب الإضافة . وممن صحبنى أيضاً زوج الوالدة ، لا برحت فى الجنان خالدة ، والأخ من الرضاع ، الحاج إبراهيم جميل الأوضاع ، المستقيم على قدم الحب من الصغر ، كأنما نقش على فؤاده نقش الحجر ، فلم يتغير بتوالى الزمان ، لأنه ذو باع فيه طويل ، قد عرف بابن الطويل فى النسب . وممن صحبنى أيضاً الأخ الواعى ، الشيخ محمد البقاعى ، خفيف الحركة ، ثقيل البركة ، فجملته للنسبة الوطنية دليل الركاب ، ومرنا نتملى بشهود وجوه أولئك الأحباب . ولما أظلنا وادى بردا [بردى] الظليل ، قابلنا بعده أول قتيل هابيل النبيل ، فقرأنا له الفاتحة .

وأنشدت الدليل قرب الديماس : مرتجلاً بقصيد مفيد الإيناس :

قد أتينا القرية الديماس ترتجى رشف حمرة الإقباس

ونزلنا بها مع الرفاق (زاوية بنى تغلب) وبعد أداء الصلاة الوسطى وختام ورد العصر البسام ، ورد كتاب من العصر الهمام الشيخ إسميل العالم النبيل القدام ، مصدراً له بأبيات جسام وهى :

فرقة للحبيب يوم الخميس أورثت فى الجنان رعب الخميس

أهل ودى زاد التلهف منى حيث فارقتكم لدى التفليس

وتوجهنا للبقاع وهو جمع بقعة موضع يقال له بقاع كاب قريب من دمشق . قال فى المراصد : وبهذا البقاع قبر إلياس ولما وصلنا باب وادى القرن أنشدت موالياً :

لقد قرنا الصفا بالبسط أيا قرن لما أتينا صباحاً باب وادى القرن

ومذ عذول الحشا قد غاب ذاك القرن

دام التصافى لى مابعد نفح القرن

وجاءنى الأخ البقاعى ، بشيخ (١) نشره عابق للبشر داعى ، فكتبت وأنا على الدابة أسمه ما يجرى على القرطاس :

يا خليلىَّ للبقاع فسيحا ترياً مريعاً هناك فسيحا

واسقيانى كأس المدام لديه وانشقانى فيه خزاماً وشيحا

ولما أشرفت على الجبل ، إذ زال الخبل قلت :

يا ساكنين السفح من لبنان هيجتمو بسناكم أشجانى

حولتمو قلباً أحب وقالباً فأتيتكم أسعى على أجفانى

وقد اقتفينا من الدليل العزيز الجليل الأثر ، الأثر ، لأنه أسلم ، وما زال يصعد بنا العقاب التى هى صعود للجوزاء بلاسلم ، لكن راقيها بإمداد من حل فيها للعناية والرعاية والحماية والكفاية يسلم ، حتى أتينا قرية نبى الله زريق فقلت :

يا ندبىَّ من منام أفيقا علَّ أن تلتقيا لوصل طريقا

وانهجا منهج الحياة وسيرا للمعالى كى تنشقونى عبيقا

ثم زرنا فى القرية مقاماً لخضر أبى العباس ، وسبب تعدد مقاماته ، شهوده فيها لكثرة تطوراته ، وهذه علامة على حياته ، خلافاً لمن دندن بوفاته . والدليل قريب فى القرية تغره بسام ، أنزلنا لديه فقدم ما قدر عليه من إكرام ، وعزمنا فى الصباح أن ينزل سهل البقاع ، فرأيت مناماً دل على توديع السكان ، من ذلك المنزل لمارض حر وعدم إركان ، فأتيت مع الرفاق إلى تل مشرف ، وأهديت النازلين من عمد وأركان الفوائح ، وقلت :

يا سراة نحو العزيز الخفير بلغوه سلام صب حقير(١)

خبروه بأننى مستهام فى هواه بحرقة وزفير الخ

وبعد أن ودعنا المضيف بالأمس ، جزنا إلى الشيخ يعقوب المنصورى ، وهذا الذى صنع البركة الإبريزية للملك الرشيد نور الدين الشهيد فسمل منها أوقاماً على عد عين تورا ويزيد ، ومنها قاعة الفقراء فى الربوة بين تورا ويزيد ، وزرنا أولاد شيخنا الجيلانى ، ثم تقدم بى الدليل بعد الزيارة إلى قرية (كوكب) قاصداً فيها صلة رحم وقرب أحباب ، فأنشدته مرتجلا لما غيم الكدر المجلى :

إننى فى سفرتى هذى التى فاق محياها سراجاً كوكبا

لم أزل أرقى العلا مع رفقتى ولهذا قد رقينا كوكبا

وسرنا إلى (الذنبة) ، بهمة طيبة الحضور والغيبة ، ولما امتلأت بالسرور العيبة ، فقت بالجبور الموفور الجيبة ، قصدنا بجمعنا قرية (حاصبية) فإذا هى قرية كبيرة مملوءة الأكناف بالطائفة الدوزية ، ومضينا للخان ونزلنا لديه ، ومنه جدينا السرى حتى أتينا قرية (ميس) ، الحاملة أهلها لواء ريعة لا قيس ، الشيمة المائسين بحب الآل أى ميس . وهذه القرية من بلاد بشارة فأنشدت :

جاء ممن أحب ليلا بشارة مذ حللنا يوماً بأرض بشارة الخ

وصعدنا محلها العالى ذو الامتناع ، ونزلنا عند صديقنا الغالى على بقاع ، وأمسكنا لديه معاملا يا كرام ، وسرنا للدير والقامى(٢) بأنس تام ، ونزلنا عند أحبابنا فى القامى ، وحبب لى أن أمدح أهل الدير والقامى ، لأنهم أهل قرب وقرابة كل منهم لا يرى تشفيعاً فقلت :

إذا رمت أن يسقيك سمعان فى الدير

أمخ جمل الترحال فى القامى والدير الخ

وأشرت بصالحهم لصالح أكبر أولاد مراد فإنه صالح .

(لها بقية) أصعر سامح الخالدى

(١) الشيح بالكسر نبات منه أصفر الزهر يشبه السذاب فى ورقه وهو الأرمنى ومنه أحمر غليظ الورق وهو التركى ، وكله طيب الرائحة ومنه عربى ينبت فى بلاد العرب تزعاه الروانى .

(١) ممن ذكرهم الشيخ فى قصيدته ، شيث ، وإدريس ، ونوح ، وإلياس والنهرى ، وإيلون من الأنبياء ! وسيدى مباشر ، والرماني ، والحداد ، والمنصورى ، وأولاد الجيلانى .

(٢) هى قرية دير القامى من أعمال صفد آلان .

أذلاء صهيـــــون ...

للاستاذ حامد بدر

أذلاء صهيون يريدونهـــا غصبا
فهل قنصوا العنقاء أم خطبوا الخطبا ؟
أما طـــوا عن الغدر الثام فأيقظوا
أسوداً تصب الموت فوق العدا صبا
(فلسطين) أرض لا ترام لغاصب وهل يطعم الرئبال من لحمه الكلبا
ومن يبتغ العنقاء يملن غباءه وإن أخا (صهيون) في بغيه أغبى
وماوعد (بلفور) سوى وهم واهم به قومه أغرى فأضرمها حربا
وما الحرب إلا مصرع البغي وحده
ونصر لمن لله والحق قـــد أبى
ولست أرى في مجلس الأمن منقذا
لأمن ولكني أرى الخـــوف والرعبا
ولم أر يوماً دولة ذات صولة تنيل الضعيف الحق أو تضمر الحيا
ومن تخذ الخصم الألد مواليا كمن تخذ الشيطان من جهله ربا
ومن سالم الطاغين يوماً فإنه هو الحمل المسكين قد صادق الذئبا
وليس يرد البغي إلا بمثـــله فويل لأهل البغي من فاتك هبا
وويل لهم من كل ظمآن زاحف يعب دم الأعداء يوم الوغى عبا
وويل لهم من غضبـــة عربيـــة
إذا التهمت نيرانها الرطب واليبا
وويل لهم من ثورة لا يذيمها سوى قطعهم طمناً وتمزيقهم ضربا

* * *

أذلاء صهيـــون على الوهم قد بنوا
لهم دولة في الأرض ناطحت السحبا
أكاذيب آمال وآمال كاذب وقد حملت الآمال لو لم تكن كذبا
وقد آمنوا الويلات في وقفة الرحى
فـــلم يحفظوا للعهد واستأنفوا الحربا
فهل أطعمتهم (هدنة) قد سموا لها وريضة ليث بالمنية لا يعبا ؟
وقد برزت أنيابه يوم الرضـــا
ولكن نفس الليث ما برحت غضبى
وهـــل نسي الباغون حرباً عنيفة
وقد ركب الباغون مركبها الصعبا ؟
فلم يتواسخط الحليم إذا انتضى من الغمد صمصاما وجرده عضبا
وكل جبان يحسن الفر آمنا وعند وثوب الليث لا يملك الفارا
وما حظهم من هدنة يخرقونها سوى أنهم يبغون في ظلها الوثبا ؟
وقد أمنوا الآســاد لما تفيدت يعهد عليها وحدها حرم الحربا
كأنهم الأطفال هاموا بلهوهم فلم تلم الأطفال أن عشقوا اللعبا
ألا أيها الصنديد في حومة الوغى عدوك رعديد على الذل قد شبا
يهم بجمع المال طول حياته فيعشقه عشقاً ويعبده ربا
ومن يعبد الدينار لم يك باسلا ولم يعل رأساً من على النشب انكبا

* * *

أذلاء صهيون يبيعون ما به يضن الجواد السمح . تباً لهم تبا
ولا نقص فيما بيع يزعج بالهم
إذا العرض النامي على العرض قد أربى
هو يحسبون المال من أي مورد
غنى ومن الخسران قد طلبوا الكسبا
وقد زعموا في الشرق نهبة ناهب
وضاقوا بيأس الشرق فاستظهروا الغربا
وأنصارهم في الغـدر من يعتصم بهم
فقد تكل الأنصار والآل والصحبا
يريدون إطفاء الشموس جهالة . بأفواههم والله سبحانه يأبى !

حامد بدر

محمود خفيف

يقـــدم

من وراء المنظار

صور انتقادية فكهة من حياتنا الاجتماعية

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حب الرافعي :

عزيزي الأستاذ عباس خضر :

قرأت كلمتك في العدد ٧٩٥ من « حب الرافعي » وما كتبه في إحدى المجلات السورية حول هذا الموضوع صديقنا الأستاذ حسنين مخلوف « الأديب الذي استهلكه التعليم » ، وما عقب به صديقنا أيضاً ... الأستاذ كامل محمود حبيب « الأديب الذي استهلكته الوظيفة » ، وما علقت به على ذينك الرأيين ، أو ذلك الرأي الواحد المدروض على القراء في صورتين ؛ ثم سؤالك من بعد : « هل عند أحد من سائر تلاميذ الرافعي شيء في هذا الموضوع » ؟ .

وقد فهمت من سؤالك هذا يا صديقي أنك تعنيني ، ولعل هذا ما فهمه أكثر قرائك أيضاً — فلولا أنني مشغول الآن بما يكاد « يستهلكني » أنا أيضاً من أسباب الدفاع عن حربتي في الفن ، وعما ينالني به بعض أهل الأدب من أسباب الكيد — لرأيتني سريعاً إلى جوابك ؛ ولكنه موضوع لم يفُت أوانه على كل حال ...

أما أن الرافعي كان يحب « مي » صدراً من كهولته وإلى آخر عمره ، فشيء لا أنكره ولا شك فيه ، وليس ينكره أو يشك فيه الصديقان الأديبان مخلوف وحبيب ؛ ولكن الذي ينكرانه أو يشكان فيه هو « ماهية هذا الحب » هل كان حباً عقلياً ، أو حباً فنياً ، أو حباً إنسانياً ، أو حب كل رجل لكل امرأة ... !

هذه هي القضية كما عرضها الصديقان فيما رويت عنهما ؛ وليس أمراً ذا بال — والمسألة بهذا الوضع — أن أخالفهما أو أوافقهما ؛ فإن المخالفة أو الموافقة في « الرأي » لا تمحو حقاً ولا تثبت باطلا ، وإنما يمحو ويثبت أن تختلف في « الرواية » ، وأنا قد « رويت » أن الرافعي كان يحب « مي » ، وقد « روينا » مثل هذه الرواية ، ولكنهما بعد ذلك تناولا الأمر على نحو فلسفي ، فراح كل منهما يصف هذا الحب في رأيه ويحاول استكناه حقيقته ، فزعما أن حب الرافعي لمي لم يكن حباً انفعالياً ، بل كان حباً إرادياً يقصد إلى هدف وغاية — وهو نحو من التعليل قد يكون موفقاً ، وقد يكون التعليل الصحيح غيره ؛ فهذه قضية سيكلوجية وفنية يحتاج بحثها والفصل فيها إلى مقدمات ، وإلى دراسة نفسية معقدة تستند إلى أسانيد من « الرواية » ، وإلى خبرة عملية في الحب ... واسمح لي أن أستخدم هذا التعبير ...

وأنا قد حرصت منذ أول يوم حاولت فيه تأريخ الرافعي أن أكون « راوية » — راوية فحسب ، لا فراراً من تبعة الرأي ، بل مبالغة في التجرد عند تأريخ حياة لم يزل صداها يرن في أذني وأنفاسها تعبق في جوى ؛ ولكني مع هذا الحرص على التجرد الخالص لم أدع شاردة ولا واردة من ذكرياتي ، أو من مذكراتي ، عن حياة الرافعي ، إلا ذكرتها ؛ لتكون مقدمات الحكم ماثلة تحت عيون الباحثين من أهل الأدب حين تتقادم السنون ويصير الرافعي تاريخاً خالصاً لا تختلط به أصداء الذكريات الحية في نفوس بعض الذين عاصروه أو استمعوا إلى حديثه أو اتصلوا بحياته من قريب أو من بعيد ، وستجد يا صديقي في الفصل الطويل الذي تحدثت فيه عن « حب الرافعي » من كتاب « حياة الرافعي » من أسباب العلم بهذه « الحادثة » ما يهيء لك أن تحكم وأن تكون في هذه القضية صاحب رأي .

أما « رأيي » أنا ؛ فإني حتى اليوم — وقد مضى على وفاة الرافعي — أحد عشر عاماً وأشهر — ما أزال أشعر أني منه قريب قريب بحيث لا يتهيأ لي أن أكون في قضية من قضاياه صاحب رأي مجرد ...

ولكني ما أزال مع ذلك أصر على أن الرافعي — رحمه الله — كان يحب مي صدراً من كهولته وإلى آخر عمره ، حباً ما ... وأنها أحبته ذات يوم ... حباً ما ؛ ولكن حبها إياه قد انتهى

قبل أن ينتهي حبه ، أعني قبل أن ينتهي عمره !

والسلام عليك .

محمد سعيد العريان

هذا ما تفضل بكتابته إلى صديقي الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان ، وحقاً كنت أعنيه ، فهو مؤلف « حياة الرافعي » ولكني كنت أطمع أن يبدي رأيه من حيث كتابة الرافعي في الحب ودلالتها على صدق العاطفة أو عدم صدقها ، مع الملابسات الواقعية التي يعرف دقائقها ، ولكنه آثر التجرد ... وأود أن تتاح الفرصة القريبة ليتجرد من هذا التجرد ويكتب « أدب الرافعي » الذي لابد أن يتضمن فصلا في حب الرافعي ، وعندئذ لا يستطيع أن يتجرد من الخبرة العملية في الحب ...

أين الأديب الحر ؟ :

أثار الأستاذ إبراهيم علي أبو الخشب ، مسألة الأديب الموظف والأديب الحر ، فعبر عن الأول بأنه « يتحتم عليه أن يكون أدبه في حدود اللون الذي تتلون به الوزارة القائمة » واتخذ الأستاذ الزيات مثلا للكاتب الذي يستشعر الحرية فيما يكتب .

وأقول أولا إن المثل لا بد له من أمثال ، وأستاذنا الزيات له ظروف خاصة ليس لأحد مثلها ، هيأها وبلغها بجهده وقلمه ، وأصبح قلمه بهذه الظروف محرراً مما يقيد الأقلام ، فهو لذلك لا يصلح مثالا . وإذا تجاوزناه فإننا نبحث عن الأديب الحر بمصباح ديوجين .. سواء أكان موظفاً في الحكومة أم غير موظف ، فأين هو ..؟

إن الأدباء غير الموظفين — أي الذين كان ينبغي أن يكونوا أحراراً — تتقاسمهم شتى القيود ، فمنهم المقيد بالسياسة الحزبية ، ومنهم من يؤثر المنافع التي يملكها أصحاب السلطة فيكتب لهم ويقضي عنهم ، ومنهم من يحكمه لون من الصحافة يدر عليه الرزق الوفير .. وهذا هو فلان الأديب الكبير الذي ترك الحكومة ليكون حراً في عالم الكتابة .. هل صار حراً ؟ كان الله في عونه ، ويسر له الرجوع إلى الوظيفة ، ليخرج في ظلها الفن الصافي الذي كان يخرجه .

ثم انظر في إنتاج الأدباء غير الموظفين وفيما يكتب الكتاب الأحرار ... أترى فيه شيئاً — فيما عدا السياسة الحزبية — كان يمكن أن تمنع منه وظيفة حكومية من حيث التحرر والتقيد ، وأين هو الأديب الذي أدى رسالة لا تتفق مع قيود الوظيفة الحكومية ؟ قد يكون هناك من آثر الصحافة مثلا على العمل الحكومي ، استجابة لميل شديد إلى الصحافة أو رغبة في ربح مادي منها ، أو للعمل مع حزب من الأحزاب ، أو إباء تحكم الرؤساء ؛ ولكن من هو الذي رغب عن الوظيفة للحرية الأدبية فكان أديباً حراً ؟

ولعلنا نخلص من كل ذلك إلى قضية جديرة بالنظر ، وهي : هل فيما وراء أدبنا مجال لوقف الأدباء عند شاطئه منهيين أو عاجزين ، أو إنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ؟

من أخطاء الإذاعة :

أخطاء المذيعين في اللغة وفي غير اللغة ، لا أول لها ولا آخر ، وهذا مما يؤسف له أشد الأسف ، لأن الإذاعة لسان مصر الناطق حقاً لا مجاز فيه ، فلا يليق أن يلحن هذا اللسان في نطقه ويهاجل لغة البلاد ، ولا يليق أن يكون مدى علم المذيعين بشئون الأدب والثقافة ما يدل عليه خبطهم في هذه الشئون خبط عشواء ... ولكن أي شيء لائق في الإذاعة ؟

وكثيراً ما أتذرع بالصبر حيال تلك الأخطاء ، ولكن الذي لم أستطع الصبر عليه حذلقة بعض المذيعين والمذيعات بقولهم بعد انتهاء جزء من البرنامج : « سمعتم في هذه الربع ساعة كذا » ويظهر أنهم مفتونون بهذا التعبير افتتانهم بإعلان أسمائهم مقرونة بإخراج البرامج والتمثيليات .. يظهر أنهم يستملحون ذلك التعبير فيكررونه ويتناقلونه مزهوين به كأنه « ذيل الذئب » الذي تنسب البطولة إلى من يأتي به .. ولا يدرون أنهم يمسكون به أسماع أهل الذوق العربي السليم . وآخر ما سمعته كانت تنطق به مذيعة تجتهد أن تعرب في أكثر الأحيان ، وتلحن أحياناً ... قالت : « سمعتم في هذه الربع ساعة تقاسيم على الكمان من حضرة صاحب العزة مصطفى بك رضا » وقد أوقعها التقليد في هذا الخطأ وإن كانت تحرص على الصواب ، ولذلك أصححه لها هكذا : « سمعتم في هذا الربع الساعة » أو « سمعتم في ربع الساعة الماضي »

والأحسن أن تدع هذه الحذلقة كلها وتقول : « سمم كذا » وتخلص نفسها من هذه الورطة ، وتخلص صوتها الرقيق من تلك الشائبة . أما المذيعون (الخناشير) فليخبطوا كما يخبطون ...

ومن أخطاء المذيعين التي لاحصر لها ، نسبة الأغنيات إلى غير قائليها ، فما لعلي طه ينسب إلى محمود حسن اسماعيل ، وتصور ما لإيليا أبوماضي مثلا ينسب إلى محمد الأسمر !

وأشنع ما سمعت من هذا القبيل أن قدم أحد المذيعين أغنية لأم كلثوم من شعر شوقي فقال إنها من تأليف « محمد شوقي بك » ! ولا أظن هذا المذيع يخطىء في اسم « محمود شكوكو » كما يخطىء في اسم أمير الشعراء .

ومن أخطاء الإذاعة في تنظيم البرنامج ، هذه الأناشيد الحماسية التي تلقيها الأصوات المزعجة في منتصف الليل أو قبيله ، فهل يطلب من المستمعين أن يأخذوا قسطهم من الحماس قبل النوم ؟! وعلى من يكره منهم في النوم أن يهب مذعوراً على صوت راديو الجيران أو القهوة المجاورة ، ليأخذ نصيبه من ذلك الحماس ! وعلى هؤلاء وأولئك أن يكونوا جميعاً وطنيين متحمسين في أحلامهم طول الليل . .

افتتاح دورة المجمع اللغوي :

افتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، الدورة الحالية يوم الاثنين الماضي ، فانعقد مجلس المجمع برياسة الأستاذ أحمد حافظ عوض بك باعتباره أكبر الأعضاء الحاضرين سنا ، وذلك لمرض صاحب المعالي لطفي السيد باشا رئيس المجمع .

ومما أقره المجمع في هذه الجلسة التوسع في تعزيز اللجان بالخبراء الفنيين الذين يندبون للعمل بلجان المجمع لقاء مكافآت : فيعملون مع الأعضاء لإنجاز الأعمال الفنية .

وعرض على المجلس موضوع اختيار أعضاء مراسلين للمجمع من لبنان والجزيرة العربية ، فأجل النظر فيه ؛ والمقصود من هذا الموضوع استكمال تمثيل البلاد العربية في المجمع من حيث عضوية المراسلة ، فقد سبق أن اختير أعضاء مراسلون من سائر أقطار العروبة ماعدا هذين القطرين الشقيقين . والرأي متفق على هذا الاستكمال ، أما مرجع النظر فهو تعيين الأشخاص .

اليهود دائما :

جاء في تقرير كتبه عن اجتماع مؤتمر المستشرقين في باريس ، الدكتور إبراهيم بيومي مدكور ممثل المجمع في المؤتمر — ما يلي :

« ولقد حاولنا أن نظفر بتقرير عقد الاجتماع المقبل للمؤتمر في القاهرة ، وكان لنا بين الأعضاء أنصار كثيرون ، ولكن الأمر انتهى للأسف بتقرير عقد الاجتماع المقبل في اسطنبول . وسرد هذه النتيجة إلى أسباب أهمها » :

« ١ — التأخر في وصول الدعوة الرسمية بحيث لم تبلغ إلا قبيل انعقاد الجلسة الأخيرة .

« ٢ — تأثير مشكلة فلسطين على العلاقة بين الشرق والغرب عامة وبين مصر والدول الأوروبية والأمريكية بوجه خاص ، والجهود الكبيرة التي بذلها المستشرقون اليهود وأنصارهم في سبيل حمل المؤتمر على عدم تقرير اجتماعه المقبل في القاهرة . »

وهكذا يحارب اليهود الجهود العربية في كل مجال ، حتى في الهيئات العلمية ، وهكذا يستجيب لهم الغربيون حتى ذوو « الأرواب » العلمية .

عباسي مخضر

تفسير القرآن الكريم

الجزء الأول

تأليف محمود شلبي

يصدر أول العام الهجري الجديد . النسخ تطبع وترسل للمشتركين فقط الاشتراك قبل الطبع ثلاثون قرشاً ترسل بالبريد المسجل بعنوان المؤلف ١٠ يوسف مصطفى — النيل — القاهرة آخر ميعاد للاشتراك الشهر الجاري بادر إلى حجز نسختك وارسل عنوانك كاملا تصلك نسختك عند صدورها .

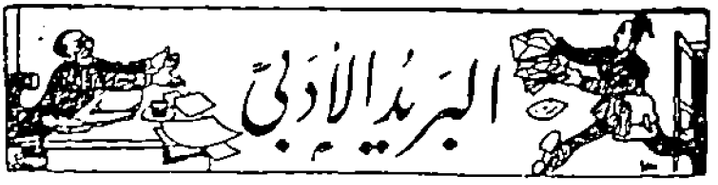

الجويبم :

وردت هذه الكلمة فى محاضر المؤتمر السرى الذى عقده شيوخ اليهود فى القرن الماضى ، وهو الذى لخصته فى مقالات فى الرسالة وعلقت عليه . وقد ذكرت اللفظة مراراً بنصها هذا كما ذكرها مترجم تلك المحاضر عن الروسية إلى الانكليزية وفسرها بقوله أنهم يطلقونها على جميع الأمم غير اليهودية ، وعلى النصارى على الخصوص . وفى أثناء نشر مقالاتى فى الرسالة علمت من خبير أن كلمة جويم تعنى « الانجاس » والجوى « نجس » وهم يعنون أن جميع الأمم غيرهم « أنجاس » .

وفى العبارة التى نقلتها مجلة الأزهر عن الرسالة ، ونصها : « لأن وظيفة هؤلاء الحكام الوطنيين (أعنى باشاوانا) أن يمسكوا البقرة (اقتصاديات مصر) بقرنيها لكى يحلبها شعب الله المختار (الجويم) قصدت بأن « الجويم » نعت لشعب الله المختار (كما يسمون أنفسهم) أعنى أنى نعتهم بما ينعتون به سائر الأمم لأن تصرفاتهم وسلوكهم وأخلاقهم تثبت أنهم أنجس الأنجاس كما يعلم كل إنسان على وجه الأرض .

نقولا الحداد

عقيدة جهول الدين الروحى :

اتهم الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ فى مقالة « جلال الدين الروى » المنشور فى العدد الأخير من مجلة الرسالة الزاهرة بأنه « جاهل » وذلك بدون إبداء أسباب مقبولة أو إيراد أقوال صريحة عنه تؤيدان هذا الاتهام .

ومع الأسف الشديد أؤكد أنه ما من باحث إلا ويباح الكلام فى الصوفية جزافاً ويرميهم بأحد المذاهب المضلة الباطلة التى لا يقرها عقل ولا يؤمن بها قلب ولا يعتنقها إلا كافر بالله أو ملحد لم يشم رائحة الإسلام الذى هو فى روحه ومعانيه بقدر موضع العبد من خالقه الذى ليس كمثله شىء .

وأعيذ المتصوفة أن تكون من الفئة المارقة الخارجة على الدين الإسلامى الحنيف . وإنى أسأل : هل شققنا عن قلوب هؤلاء المتصوفة فرأينا أنهم كانوا على الباطل فى حياتهم وأنهم تركوا الدين وراء ظهورهم فلم يؤدوا ما أمر الله به ولم ينتهوا عما نهى الله عنه أو انسلخوا عن الدين فاعتقدوا أن الرب عبد والعبد رب . إن هذا قول لا يقره عقل ولا دين .

وإنى إذ أبرىء[1] المتصوفة من مذهب الحلول تطيب نفسى أن أشهد بأن جلال الدين الروى من هؤلاء الصفوة المختارة الذين كان لهم أثر محمود فى إظهار نور الشريعة قولا وفعلا واعتقاداً .

فلله هؤلاء الصوفية البؤساء الذين لم يسلموا من ألسنة الناس فى حياتهم وبعد مماتهم ، ورحمهم الله .

(شطانوف) محمد منصور خضر

المفعول معه وواو المعية :

تعرض الأستاذ أحمد عبد اللطيف لمناقشة ما كتبته حول المفعول معه وواو المعية ، فأورد أموراً رأى أنها تحتاج إلى المناقشة فقال :

١ — إن سياق الآية « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم » بعيد عن الدقة لأنى قلت إن الإيمان منصوب على أنه مفعول معه . والرد على هذا من وجوه .

(ا) لست فى كتابتى للموضوع أبحث عن ترجيح إعراب الآية دون إعراب ، ولم أمنع أن فيها أوجهاً أخر ، والأستاذ متفق معى على أن الصبان فى حاشيته على الأشمونى أوردها على الرأى الذى ذكرته ، وأزيده أن السيوطى فى كتابه همع الهوامع أوردها كذلك فقال « وجاز النصب على المعية وعلى إضمار الفعل الصالح نحو فأجمعوا أمركم وشركاءكم ومثله تبوءوا الدار والإيمان . فالإيمان مفعول معه أو مفعول به باعتقادوا مقدراً » . فإذا كان للآية أو للشاهد عدة أوجه — وكل وجه منها صحيح — كما فى الآية واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، بجر الأرحام عطفا أو مقسما بها ، وبنصبها عطفا به ، ألا يجوز للكاتب أن يذكره فى معرض الاستدلال وبخاصة إذا كان سليما من التأويل والتقدير ؟

(ب) الآية وردت فى الأنصار . فمن قال بتقدير فعل مناسب احتاج إلى أن يقول : تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان من قبل المهاجرين . ثم احتاج إلى أن يقول تبوءوا الدار

(١) يراجع مقالنا « لا حلول ولا اتحاد عند الصوفية » المنشور فى الجزء الرابع من مجلة الكتاب القراء — يوليو سنة ١٩٤٨ — وفيه أسباب الاتهام والتبرئة .

من قبل هجرة المهاجرين . وذلك لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وإنما بعدهم وإن كانوا آمنوا قبل هجرتهم . ومن قال بتقدير فعل يصح انصبابه على الاسمين احتاج إلى أن يقول : لزموا الدار والإيمان من قبل المهاجرين ثم لزموا .. من قبل هجرة المهاجرين . أو قالوا في الحالين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وأخلصوا الإيمان . أو لزموا الدار من قبل المهاجرين ولزموا الإيمان وعلى كليهما اضطررنا إلى تأويل وتقدير أو تقديم مع أن هناك قاعدة مشهورة وهي أن ما سلم من التقدير أولى مما احتاج إلى تقدير .

(ج) أما من يرى أن الإيمان مفعول معه فقد تجنب أكثر هذا التكلف ، قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط : قال ابن عطية والمعنى تبوءوا الدار مع الإيمان وبهذا الاقتران يصح معنى قوله — من قبلهم — فتأمله .. اهـ

(د) يوهم ما كتبه الأستاذ أن الفراء والفارسي والمازني إلى آخر من ذكرهم قد تعرضوا للآية عند التكلم على التوضيح إذا امتنع العطف والمفعول معه كقوله :

علفتهـــا تبناً وماء بارداً حتى غدت همالة عيناهـــا

وكقوله :

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيـونا

أضمر فعل ناصب للاسم الواقع بعد الواو وهذا قول الفراء والفارسي ومن تبعهما . وذهب الجرمي والمازني والمبرد وأبو عبيدة والأصمعي واليزيدي إلى أنه لا حذف وأن ما بعد الواو في «البيتين» معطوف على ما قبله ، وذلك على تأويل العامل المذكور قبلهما بعامل يصح انصبابه عليهما معاً فهـو من باب التضمين « ومثل ذلك ذكره السيوطي في الهمع . فالشاهد الذي يعارضني به الأستاذ وقد استمده من النسفي — وأزيده أنه قد ذكره غيره — إنما هو فيما لا يحسن أن توضع فيـه واو المعية ولا يحسن فيه العطف فاضطروا إلى التأويل والتقدير أما الآية فهي فيما يجوز فيه النصب على واو المعية وإضمار الفعل العامل . فالتنظير غير تام بين الآية والبيت . ومن كل هذا تخلص إلي أنني لم أكن بعيداً عن الدقة وإنما كنت أقرب إليها منه ، هذا في الوقت الذي لم أكن أقصد في بحثي الأسبق إلى ترجيح إعراب على إعراب وإنما كنت أقصـد إلى أن الواو في المفعول معه نص في المعية بدون تجوز أو تأويل ، وشواهدي التي سقتها صريحة في هذا ومنها الآية الكريمة . ولا يكفي في الرد أن يقال هذا بعيد كل البعد أو أن هذا ضعيف من غير تبيان وجه البعد أو الضعف ؛ فإذا ذكر بعض المفسرين أن المفعول معه في الآية ضعيف بدون حجة يبديها ، لا يكفي في الإبعاد والإضعاف ما دام التعبير سليما واضح المعنى .

٢ — يظاهرني الأستاذ على نقدي تعريف المفعول معه ومن العجب أنه مع ذلك يريد أن يعتبر — بدون قصد — استذكرت والمصباح وأمثاله صحيحاً مع أنني قد بينت أنها أمثلة خاطئة إذ أنك لا تقول في كلام عربي فصيح استذكرت مع المصباح وإنما تقول استذكرت على ضوء المصباح . ولعل الأستاذ لم ينتبه إلى مرادي في بحثي الأسبق فكان منه ما اعترض به .

٣ — إن أسلوب الأستاذ الإيهامي — الذي ذكره — ليستدني القاعدة إلى أفهام تلاميذه إنما هو الواقع أسلوب يستبعدها . ألا ترى أن التلميذ وهو في الرابعة الابتدائية لا يتابعك حين تقول له : « استذكرت والمصباح ، إن ما بعد الواو لا يصح أن يقع منه الحدث إذ أن المصباح لا يستذكر . وإن المصباح مفعول معه وليس معناها استذكرت مع المصباح أي مصاحبا المصباح وإنما حصل « الحدث » مقارناً للمصباح » . ولكن يفهمك من أول الأمر إذا قلت خرجت والأصيل ، أي مع الأصيل . وهذا ما قلته سابقاً وما جعلني أخطىء مؤلفي كتب القواعد التي ابتدعوا فيهـا أمثلتهم فلجئوا إلى تعريف يوضح ابتداعهم العجيب .

٤ — قال الأستاذ إني أحلت قول الشاعر «لا تنه عن خلق وتأتي مثله إلى الحال وأنني قد تجوزت في رأيي تجوزاً بعيداً . وأما من جهتي أعجب للأستاذ ألا يتنبه إلى أن قولي إنما كان «تهميشاً» وضعته ليكون ضابطاً لمعرفة واو المعية وفاء السببية ، ولن تجد شاهداً صحيحاً يخرج عن رأيي ، فالآية : ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، معناها والله أعلم أنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا مع حالة كونهم غير مكذبين بالله ومع حالة كونهم من المؤمنين . ومثل هذا يقال في الأمثلة والشواهد التي ذكرتها في بحثي الأسبق . وإني لشاكر للأستاذ أن أتاح لي فرصة الإيضاح ، ولعله تنبه إلى ما أردت وذلك على قدر ما أعلم ، وأختم بما ختم به وفوق كل ذي علم عليم .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوي

شجرة الزقوم فى إمتحان الرسم :

نشرت « الرسالة » مقالا للأستاذ عباس خضر ، انتقد فيه السؤال الخاص برسم الجحيم وشجرة الزقوم ورءوس الشياطين. إلى آخر ما ترمز إليه الآيات الشريفة . . وأرى أنه من الواجب قبل النقد أن يقف حضرته على الأسس التى بنى عليها هذا التطور المفاجىء فى طرق تدريس هذه المادة والغاية التى تسعى إلى تحقيقها ، هناك أمران مهمان :

أولا : يجب أن تخاطب الصورة المطلوب التعبير عنها « قلب » الطفل ونفسه فيمتلىء بها شعوره وإحساسه ، بصورة خاصة أدركها فكره الخاص ، فإذا ملأت الصورة قلبه وفاضت بها روحه واستحوذت على مشاعره ، كان لها عليه سلطان شديد . فإذا ما أعطى الفرصة للتعبير عنها ، جاء تعبيره ترجمة صادقة لما يجول فى عوالم نفسه . وما دام قد فاض الينبوع من صدره وتفجر من أعماق نفسه ، ففى تعبيره هذا تأكيد لنفسه ولشخصيته ، وفيه شفاء لغليله وريا لظمأه . وهذا يختلف عما إذا خاطبت الصورة المطلوب التعبير عنها « عين » الطفل ، فهو فى هذه الحالة يحاول أن ينقلها لنا نقلاً جيداً فيصبح ذلك القلد الماهر لما يراه لا المعبر الصادق لما يجول فى عوالم نفسه .. وشتان بين هذا وذاك ، كما أن الصورة المنقولة عن العين تخاطب « العقل » شأنها فى ذلك شأن سائر المواد الدراسية الأخرى التى يحيا فيها الطفل طول الأسبوع . أما الصورة المنقولة عن القلب فتخاطب « العاطفة » . ويجب أن نذكر أن فى هذا التنويع ضرورة لحياة الطفل فهو عقل وروح .

ثانياً : الصورة التى تخاطب العين تكون واضحة فى ذهن الطفل فهى دائماً أمام عينيه واضحة كل الوضوح ، مما يجعل الدافع النفسى عند الطفل إلى التعبير عنها ضعيفاً أو معدوماً ، فلا حاجة به إذاً ، ولا دافع كذلك فى نفسه يدفعه إلى التعبير عنها حتى يراها أمام عينيه على ورقة الرسم . على العكس من الصورة التى تخاطب القلب فهى غامضة فى ذهن الطفل ، شديدة التأثير فى نفسه كما يبدو ذلك جلياً فى الأحلام مثلا فيكون الدافع النفسى عند الطفل للتعبير عنها قويا شديداً ، محاولا فى ذلك أن يزيح النقاب عن وجه الصورة التى يحسها — فغموضها فى ذهنه يدفعه إلى محاولة إيضاحها فى الرسم ، وقوة تأثيرها فى قلبه تدفعه إلى التعبير عنها بالرسم — ليرى فى النهاية ما أحسه بنفسه غامضاً قد أصبح واضحاً أمام عينيه على الورق .. كالحاجة اللحة التى تدفعنا إلى تذكر الحلم فى الصباح .

ولست أوافق الأستاذ عباس خضر فى أن يقصر « مقدرة التخيل » على المبافرة كأبى العلاء ودانتى ولكنها عامة عند الجميع

ولعل فى ذكر الجحيم وشجرة الزقوم ورءوس الشياطين صوراً غامضة تثير نفس الطفل نحو التعبير عنها .

ولسنا نبغى من وراء هذه الخطة أن نكلف الناشىء العادى أن يكون فناناً كما ذهب حضرته فى ذلك ، وإنما رائدنا تكوين شخصية ثانية مستقلة عند الطفل ، يحس بها إحساساً ذاتياً معتمداً عليها فى كل ما يعترضه فى الحياة . إذ يجب ألا يكون العالم الخارجى هو النموذج الأعلى عند الطفل يقلده فيحس بصغر شأنه إزاءه ، ولكن يجب أن يحس الطفل عملياً بقيمة نفسه ، وبأنه النموذج الأعلى فى هذا الوجود .

كامل بطرس مصور

مدرس الرسم بمدرسة المنصورة الثانوية للبنات

وعورة الأسماء :

كتب الشاعر الرقيق — أحد من تشرفت بمشاركته فى الإسم الكريم — الأستاذ محمد محمد على (السودانى) كلمة فى العدد الماضى من الرسالة ، عن اشتراك أكثر من واحد فى اسم واحد ! وقد عرفت من مطالعتى المستمرة للرسالة ، أن هناك — فى محيط الرسالة على الأقل — ثلاثة يحملون اسمه الكريم . أما الأول فهو مترجم السادهانا (كتبه الحياة) لطاغور (وهناك مترجم آخر لها وهو الأستاذ طاهر الجبلاوى (تحقيق الحياة) . وأما الثانى فهو الشاعر (السودانى) . وأما الثالث فهو العبد الضعيف كاتب هذه السطور ، الذى نال شرفاً عظيما باشتراكه فى الإسم مع كرام أفاضل . وقد نشر له فى الرسالة الغراء فصول فى التاريخ والاجتماع ، مترجمة عن هانز كوهن والأستاذ جب . وهو طالب بليسانس الجغرافيا بكلية الآداب .

لقد كان الصديق الشاعر على حق فى سودنة اسمه « سودنة خفيفة لطيفة » ليست أخف من قصيدته ولا ألطف ..

محمد محمد على

قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد

الاسكندر الأكبر (*)

تأليف الأستاذ أرنر وجال

نحن اليوم نستقبل الصبح من نهضة فنية مباركة ، تسرع شمسها نحو الشرق لتملأ الدنيا نوراً ودفئاً ، ونحن اليوم أشد ما نكون رغبة فى دراسة سير الأبطال ممن جادبهم التاريخ — والاسكندر شخصية داعة الدوى فى أسماع الزمن ، فلا يكاد التاريخ يحدثنا عن ملك اجتمعت له كل أسباب الشهرة كما اجتمعت للاسكندر ، فلقد شغل الكتاب والمؤرخين ، والباحثين ، والعلماء فى كل زمان ومكان ، ومن هؤلاء من رافقه من المهد إلى اللحد ، ومنهم من كان فى ركابه لما خرج من مقدونيا غازيا فلم تعظم عليه أشد البلاد بأساً وعناداً ، ومنهم من اضطلع معه بشئون السياسة والإدارة فخبر أساليبه وما قدر لها من نجاح أو فشل ، ومنهم من عنى بتدوين يومياته ومذكراته الخاصة وأقواله ، فكان منهم القسط وكان منهم المتحامل المتعصب الذى نرى فيه شاباً حالفته الشهرة ولم يسع لها سعيها وهو مؤمن. على أنه لم يكد ينتصف القرن الأول الميلادى حتى نشر الاسكندر أربعة بحوث هامة كتبها ديودور الصقلى وبومبى وأرفوس ولكن أوفاها ما كتبه بلوتارخ .

والمؤلف الذى بين أيدينا كتبه أستاذ كان مفتشاً عاماً للآثار بمصر وهو ممن تخصصوا فى دراسة تاريخ حياة شخصيات التاريخ اللامعة ، فنحن نعرف من مؤلفاته حياة أخناتون ، الخاصة « وهو إمام الموحدين فى العالم القديم ، « وحياة كليوباترا الخاصة » فاتنة الأجيال ، ونيرون ومارك أنطونيو ... وهو يتناول سيرة الاسكندر وبعض نسبه وموطنه ، ويصاحبه طفلاً غريراً ، وفتى يافعاً ، وشاباً طموحاً ، ومحارباً بطلا ، وسياسيا فذا ، وعاشقاً متزناً ، لا يصرفه الغرام عن الواجب ، وقائداً منصوراً لا يدفع به الظفر إلى الأسراف فى البطش .

ويشير المؤلف إلى النقطة التى بدأ عندها بحثه فيقول : بدأت بحثى من النقطة التى ظل يعتريها الغموض أجيالاً طوالا فلم أرها واضحة كل الوضوح فيما قرأت من مؤلفات ، تلك هى مشكلة ولادته . فلقد ظل يعتقد بأنه ابن للآله الأغريقى المصرى (زيوس آمون) ، ولعل هذا الاعتقاد قد أضفى على شخصه لونا من القدسية ظلت عالقة فى أذهان الناس قرونا بعد وفاته ، ففى بعض بلدان العالم كان ينظر إليه كآله حق مبين ... وفى بلاد الأغريق والرومان كانوا يعتقدون أنه الإله الثالث عشر لأسرة الأولمب ، وتروى عنه أحاديث اليهود أنه كان خادماً ليهوه المبشر بالمسيح ، وصاحب عرش سليمان ، والمسلمون يرون فيه بطلاً وفقه الله ليحق الحق ويمحق الضلال ، وفى بعض كنائس المسيحيين كانوا يعتقدون أنه واحد من قديسيهم متجاهلين بذلك السبق التاريخى.

وينتقل بنا المؤلف إلى صبا الاسكندر ، ويوضح لنا كيف كان فى صباه فارساً مشغوفاً بالركوب والرياضة ، مليئاً بالثقة بنفسه ، كثير النقد لكبار رجال الدولة ، يطعن فى تصرفاتهم ، ويثبت أخطاءهم ، وهى صفات يقول عنها رجال التربية اليوم إنها من صفات النجباء المبرزين .

ويوضح لنا المؤلف ناحية دقيقة من حياة الاسكندر وأبيه ، والمجتمع الذى نشأ فيه ، فيقول : « ويلحظ الأب على ابنه الصبى أمارات الأنوثة » — لا يخطئها الناظر إلى تمثال الاسكندر الشاب المحفوظ بالمتحف البريطانى — « فهو مليح المحيا ، وضاح الجبين ، تجرى فى وجهه الأبيض حمرة خفيفة رائعة كالتى يراها المرء على وجوه فتيات الأغريق » إعتاد أن يميل برأسه بلطف ورقة ... له عينان ناعستان جذابتان ، يحب أشعار هوميروس حتى أطلقوا عليه (عاشق هوميروس) ... يهوى الموسيقى ويلعب بأنامله الرقيقة على أوتار القيثار فيخرج بها أنغاماً لينة ناعمة .

كان كل هذا مما يقض مضجع الأب ، فقد كان أشد ما يخشاه أن يمسى ابنه واحداً من غلمان مقدونيا ممن يتسرى بهم رجال الدولة ، ولو أنه هو نفسه كان أحد هؤلاء الرجال . ففكر ودبر ، وهداه طول التفكير والتدبير إلى أن يدفع به إلى أيدى أرسطو ليؤدبه ويعلمه الفلسفة والحكمة والعلوم العالية .

ويصاحبنا المؤلف إلى جلسات التلميذ من أستاذه الفيلسوف

(*) نشرة آيروسبوتزود بلندن ١٩٤٨ .

وبين لنا جانباً من تعاليم أرسطو للاسكندر ، وكيف هضم الاسكندر هذه التعاليم وتشبث بها واستخدمها وصار يفضي بها للناس كلما حانت ساعة الإفاضة .

وفي سنة ٣٣٥ ق م كان الاسكندر قد بلغ الحادية والعشرين من عمره ، وكان قد خلص من توحيد ممالك شبه الجزيرة تحت التاج المقدوني ، وكان قد فرغ من حشد حملته التاريخية التي خلدت اسمه ، وانطلق بها يغزو امبراطورية الفرس في شرق الأرض

ومن أدق ما صوره لنا الأستاذ ويجال في كلامه عن الاسكندر السنة الأخيرة من حكمه ، فقد أحصى المؤلف على الاسكندر حركاته وسكناته ، وساعاته ولحظاته ، وأورد لنا نصوصاً من خطبه في جنده المتمرد ، وكيف تمكن بلباقته وحسن أدائه وسرعة خاطره من كبح جماحهم دون أن يذلهم ، وكيف كان الرجل صاحب فكرة ، فلم يكن فاتحاً تدفعه شهوة الفتح ، ولم يكن ملكا يبغي الملك ويعشق السلطان ، بل كان هذا وكان يدين بمبدأ الأخوة العالمية والاندماج العنصري بين الشرق والغرب فأعد لجنوده حفلا كبيراً لتزويجهم من الفارسيات بالجملة ، واتخذ له بطانة من قادة السيف والعلم من الفرس وقربهم إلى نفسه فقرب إلى نفوسهم ، وأحبهم فعظم إخلاصهم له مما أحقد عليه أجناده المقدونيون .

ويحدثنا المؤلف عن بناء الاسكندر لأسطوله العظيم في ثغور الشرق ليدور به حول أفريقا ويعود من بوغاز جبل طارق إلى الاسكندرية ، فيكون قد كشف ما خفي من أقاليم العالم ، وتم له توحيدها تحت تاجه . وكان الأسطول يرقب يوم السفر حينما أصيب الاسكندر بالحمى — لعلها الملاريا — وألحت عليه العلة وهو يصارعها بما جبل عليه من حب الصراع . إلا أن الاسكندر قد رقد ولم يطل رقاده أكثر من ثلاثة أيام ودع بعدها الدنيا وهو أكثر ما يكون شباباً وحيوية وأملا في إقرار عدل عالمي ، ما أحوجنا اليوم قبس منه ...

والكتاب بحث من البحوث العلمية الدسمة ، فهو لا يترك شاردة ولا واردة من حياة الاسكندر إلا أحصاها ، وينقد المراجع القديمة والحديثة نقداً علمياً منزها ويخرج بالقارىء برأي المؤلف واضحاً لا غموض فيه ، وهو كتاب تاريخ لمن يحب التاريخ ، وكتاب أدب لمن يعشق الأدب ، وصفحة بطولة ومجد وفخار تهوى إليها كل الأفئدة .

اطلب الكتب الآتية

من إدارة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

١ ـ وحي الرسالة
في مجلدين
ثمن كل مجلد ٤٠ قرش

٢ ـ دفاع عن البلاغة
ثمنه ١٥ قرش

٣ ـ آلام فرتر
ثمنه ٤٠ قرش

واطلب للاستاذ محمود الخفيف

١ ـ أحمد عرابي
ثمنه ٥٠ قرش

٢ ـ ابراهام لنكولن
ثمنه ٣٥ قرش

٣ ـ من وراء المنظار
ثمنه ١٥ قرش

٤ ـ تولستوي
ثمنه ٤٠ قرش

وحيـــــدة

للكاتب الانجليزى روبرت آفنيل

ترجمة الأديب حسن فتحى خليل

كانت الحجرة الطويلة تلمع فيها الأضواء المنعكسة من زجاج النوافذ العالية ، وضوء شمس الربيع الزاهية يلامس رؤوس المدعوين إلى حفل الزواج وقد انتشروا جماعات فى أركان الحجرة

وابتسمت السيدة تريل وهى واقفة وحدها على السلم الذى يفضى إلى تلك الحجرة .. وتذكرت فجأة أشياء غريبة . . فهاهى حلقة جديدة من حياتها تبدأ اليوم .

لقد كان أول ماتبدات تلك الحياة حينما تزوجت من ريتشارد ، ثم لحقها تغير آخر حين مات زوجها بعد عشرين عاماً .. والآن . هاهى ابنتها قد تزوجت ، وقذفت الحياة أمامها نحو مستقبل مجهول. ولأول مرة ستغدو وحيدة .

ولقد حدثتها نان فى ذلك قبل هـذا بيومين وهى تحيطها بذراعيها وقالت : « أرجو أن تكونى بخير فى وحدتك يا أماه .. لقد كنا معاً دائماً لمدة طويلة ، أنا أعرف أنك ستفتقدينى » فابتسمت السيدة تريل وقالت « لا تزعجى يا نان ، سأتغلب على هـذا » .

فقالت ابنتها : « فى استطاعتك دائماً الإقامة معنا أنا وتوم يا أماه » فأجابتها « سنرى ذلك » .

ووقفت تراقب زوج ابنتها وهو يتنقل بين المدعوين .

ستغدو وحيدة ، لا تطهى طعاما لأحد ، ولا ترتب حجراتها لشخص ما ، ستعود إلى منزلها فى الغروب وتتناول عشاءها بمفردها .. وسيبقى الباب مغلقاً حتى الصباح .

منذ عشر سنوات وهى لم تشعر بانفرادها أبداً ، لقد كانت تحس بوجود نان بجانبها دائماً ، حتى وهى تحتسى القهوة مع صديقاتها أو وهى جالسة فى ظلام دار السينما . لقد كانت نان فتاة طيبة ، فحين توفى والدها أصرت على أن تبحث عن عمل ، وكانت حينئذ فى الثانية عشرة من عمرها . وباجتهادها وتوفرها على عملها أمكنها بعد سنتين أن تغدو سكرتيرة لرئيس العمل .

وبعد خمس سنوات تغيرت حال عائلة تريل فإذا هم يذهبون لقضاء أيام العطلات فى توركواى وينزلون فى الفنادق الفخمة ويقيمون حفلات الشاى والكوكتيل الأنيقة .

ولقد قالت السيدة تريل يوماً لابنتها نان « أليس من الأوفق يا عزيزتى أن نقيم فى أماكن أقل تكاليف ، فأنا أعتقد أن نقودك لن تحتمل كل هذا ، وأنا لا أرغب فى كل هـذه الكماليات كما تعرفين » .

ولكن نان ابتسمت وهى تقول « يجب أن نتمتع قليلاً يا أماه . إنى أوفر لك السعادة وما عليك إلا أن تستريحى وتتركى لى أنا التصرف فى أمورنا المالية » .

ولم تتناول السيدة تريل هذا الموضوع بالحديث ثانية . إن نان فتاة طيبة ، إنها لتذكر حين كانت تصحبها وهى طفلة إلى شاطىء البحر . كان زوجها ريتشارد ما يزال على قيد الحياة حينئذ ، كانتا تتمشيان على الشاطىء فتهمس إليهما الأمواج ويداعب الماء أقدامهما ، ويستمتعان بتلك الأنوار السحرية التى تلمع فى أركان السماء الداكنة ، ثم يقفان خلف المقاعد يستمعان إلى الموسيقى النحاسية تعزفها الفرقة العسكرية ... وكانا يحزمان خلال هذه الأيام على كل بنس يمتلكانه .

ولكن نان بدلت من كل هذا ، فلقد أصبح منزلها أنيقاً .

وهى تذكر دائماً كلما وضعت قبعتها ومعطفها صوت نان تسألها :

— « أخارجة أنت يا أماه » ؟

— « نعم يا عزيزتى » .

— « أتقصدين مكاناً معيناً » ؟

— « كلا ... سأتمشى قليلا فى الحديقة » .

— « سأصحبك .. فلا يجب أن تذهبى وحدك أبداً ، وسنحتسى

القهوة معا حين نعود » .

وهكذا .. كانا يذهبان إلى كل مكان معاً ، وكانت تحرص نان على ألا تكون والدتها وحيدة .

وسار الحال على هذا المنوال حتى العام الماضى ، حينئذ ظهر اسم توم بيرنز فى أحاديث نان ، كان رئيسها ، وهو شاب طويل أنيق ذو ابتسامة جذابة .

وأصبحت نان ترتدى ملابسها فى أوقات الغروب وهى تقول لوالدتها :

— « أتسمحين لى بالخروج » ؟

— « طبعاً » ...

— « أقصد أنك ستبقين بمفردك هذا المساء » .

فتبتسم السيدة تريل لابنتها وهى تقول — « أنت فتاة طيبة يا نان .. أخرجى وتمتعى » .

وحتى فى هذه الأوقات وبالرغم من وجودها فى المنزل بمفردها ، كانت تشعر بوجود نان معها دائماً ، وكانت تعرف بأن المفتاح سرعان ما يدور فى ثقب الباب بعد الحادية عشرة بقليل . . . وعليها أن تقوم بتحضير القهوة وترتيب البهو فربما جاء توم مع ابنتها .

ولقد كان توم فتى لطيفاً ، وحينما طلب بدنان ابتسم فى خجل وهو يقول :

— « أنا أعرف أنكما متلازمتان . . وأنا لا أرغب فى أن تشعرى بالوحدة حين تتزوج نان ، وأرجو أن تعتقدى أننا نرحب بك للاقامة معنا دائماً » .

ولكن السيدة تريل كانت تخشى دائماً التدخل فى حياة أى فرد . إن الشابين الصغيرين سيرغبان فى الانفراد ، وعليهما أن ينعما بحياتهما الخاصة . لذلك قالت « سنرى ذلك يا توم » .

والآن قد بدأت الحلقة الجديدة ، وسيظهر أفق حديث فى حياة السيدة تريل . وكانت ما زالت واقفة فى مكانها على السلم وهى تبتسم لهذا الطوفان من الذكريات .

وتجمع الضيوف ولاحظت توم وهو يشير إليها ويصيح بكلماته التى لا تسمعها وسط الضجيج ، وبدأت تهبط السلم ، ثم سلكت طريقها بين المزدحمين . كان شعورها يبعد بها عن الضجة والمرح إن سعادتها يشوبها الحد وإحساس دقيق من الأسى لمرور الوقت وانتظاراً للحظة — الفاصلة — .

وأخذت نان بيدها وهى تنظر إليها بعينين لامعتين ثم قالت :

— « الوداع يا أماه . »

— « باركك الله يا نان . »

— « آه ... يا أماه .. أرجو ألا تشعرى بالوحشة ، بل يجب ألا تستسلمى لذلك الشعور » .

— « الوداع يا عزيزتى نان . »

وفتح الباب فانتشر ضوء الشمس وتعالت الأصوات المرحة حول السيدة تريل الواقفة فى هدوء على عتبة المكان وأشارت إليها نان بيدها وهى جالسة داخل السيارة . وضحك توم . . ثم تحركت السيارة . . وزادت سرعتها حتى اختفت فى منعطف الشارع .

وظلت السيدة تريل واقفة وقد غمرها شعور من الأسى ولم يقطع خيط تأملاتها سوى صوت يقول :

— « يا عزيزتى السيدة تريل .. كم ستفتقدين نان ! »

كانت جارتها فى المنزل ، فابتسمت قليلا ثم قالت فى هدوء :

— « سيبدو الأمر غريباً بدونها »

— ستعتدين وحيدة ، لقد قضيت معها أوقاتاً طيبة . . أيام العطلات فى تور كواى . . مآدب العشاء فى المنزل ، كل هذه أشياء ستثيرك .. ومع هذا .. هل ستقيمين بمفردك ؟ »

فهزت السيدة تريل رأسها وهى تقول « أعتقد أنه يجب أن أسافر لبضعة أيام أولا ... »

وكانت ما زالت تبتسم فى هدوء والسيارة تنقلها خلال الشوارع المزدحمة إلى منزلها .

هبت نسمة دافئة حين وصلت السيدة تريل إلى تلك البلدة على شاطىء البحر التى اعتادت أن تزورها هى وابنتها وزوجها حينما كان على قيد الحياة ، وســـارت السيدة تريل فى بطء بمحاذاة الشاطىء ، كانت الأضواء تتلاعب فوق رأسها ، وجعلت تراقب الصيادين وهم يقومون بعملهم .. وتمشت على الرمال ... وكانت معالم الناس تختفى فى ظلال الظلمة الهابطة ... وأحست بانفرادها لا يواجهها سوى البحر ، وسرحت نظرها فى الشاطىء من أوله إلى آخر ما يحده بصرها ..

كانت غارقة فى ذكرياتها ... لطالما مرت بها كل هذه المناظر من قبل ، وإذا بالماء يداعب قدميها ، فتشعر بإحساس من الغبطة يملأ نفسها بالرغم من وحدتها » .

عبس فتحى خليل

سكك حديد الحكومة المصرية

عربات فاخرة مكيفة الهواء بين مصر وبور سعيد

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور بأنه قد تقرر ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ الحاق عربة فاخرة مكيفة الهواء بين مصر وبور سعيد بقطارات الاكسبريس الآتية : —

من مصر فى الساعة ٣٠ ر ١١ والساعة ٤٥ ر ١٨ .

من بور سعيد فى الساعة ١٣ والساعة ١٩ .

وذلك مقابل دفع رسم إضافى قدره ٣٥٠ مليما علاوة على أجرة تذكرة الدرجة الأولى عن كامل المسافة أو جزء منها .

مطبعة الرسالة